الشيخ ندا
أبو أحمد

الكتاب الجامع للفضائل

(٦٤)

فضل الصدق والصادقين - فضل الحياء
فضل الاستقامة - فضل الأمانة

الشيخ/ندا أبو أحمد

فضل الصدق والصادقين - فضل الحياء

فضل الاستقامة - فضل الأمانة

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

مجـــالات الصدق

١- الصدق في الأقوال.

٢- الصدق في الأعمال.

٣- الصدق في النية والإرادة.

٤- الصدق في العزم.

٥- الصدق في مقامات الدين، وهي أعلى الدرجات.

أولاً: فضل الصدق والصادقين

١- الصدق دليل الإيمان.

٢- الصدق يجعل صاحبه من أفضل الناس.

٣- الصدق سبيل لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ.

٤- الصدق يكفر الله به الذنوب ويغفر به السيئات.

٥- الصدق نجاة.

٦- والصدق راحة للبال، وانشراحًا للصدر، وطمأنينة للقلب.

٧- الصدق سبب لنزول البركة.

٨- الصدق سبب للفوز برضوان الله عز وجل.

٩- الصدق سبيل لدخول الجَنَّة.

أقوال بعض السلف للحث على الصدق وبيان فضله، وترك الكذب وبيان قبحه.

ما الذي يدفع إلى الصدق ويرغب فيه؟

ثانياً: فضـــل الحـيـــاء:

١- الحياء من الإيمان.

٢- الحياء فطرة الله التي خصَّ بها الإنسان دون غيره.

٣- الحياء خلق فاضل يكسو المرء وقارًا.

٤- الحياء أصل لكل خير.

كيف نكتسب خلق الحياء ونقويه في قلوبنا؟

ثالثاً: فضل الاستقامة:

١- العمل بوصية رب العالمين وبوصية الرسول الأمين ﷺ وكفى بهذا فضلًا.

٢- وأيضًا من فضائل الاستقامة: الحياة الطيبة.

٣- حفظ الله للعبد في أهله وماله ودينه.

٤- سعة الرزق.

٥- حسن الخاتمة.

٦- البشرى الطيبة على فراش الموت.

٧- الثبات على الصراط وسرعة المرور عليه.

٨- النجاة من النار.

٩- وأخيرًا من ثمرات الاستقامة الفوز بالجنة.

رابعاً: فضل الأمانة:

- فالمؤمن الحق هو الذي يؤدي ما اؤتمن عليه.
- والأمانة دليلٌ على ضَياع الإيمان أو نُقصانه.
- وضَياع الأمانة من عَلامات النفاق.

الترغيب في أداء الأمانة وبيان ما في ذلك من فضلٍ:

١- الأمانة سببٌ لمحبَّة الله ورسوله ﷺ.

٢- الأمين كالغازي في سبيل الله.

٣- وبيَّن الرسولُ الأمين ﷺ أنَّ الخازن الأمين هو أحد المتصدِّقين.

٤- الأمانة سبب البركة والنماء.

٥- الأمانة سبب للرزق والسعادة في الدنيا.

٦- الأمانة سببٌ لحِفظ الأهل والمال.

٧- الأمانة سببٌ للنجاة والمرور على الصراط.

٨- أداء الأمانة سببٌ لدُخول الجنَّة.

وأخيرًا: لا عليك ما فاتَك من الدُّنيا إنْ كنت أمينًا.

أولًا: فضل الصدق والصادقين:

فما أنعم الله على عبدٍ من عباده بنعمة بعد الإسلام أفضل من الصدق، ولا ابتلاه ببليَّة أعظم من الكذب الذي هو بريد الكفر والنفاق ودليله ومركبه وسائقه وقائده وحليته ولبه، ولذلك رغَّب الإسلام في الصدق وملازمة الصادقين، ونفَّر من الكذب والبعد عن الكاذبين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩)

أي: اصدُقوا والزَموا الصِّدقَ تكونوا مع أهلِه، وتنجوا من المهالِكِ، ويجعَلْ لكم فرَجًا من أمورِكم ومخرَجًا.
(تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٤/٢٣٠)

***ويظهر فضل الصدق في الحديث الذي أخرجه* البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ مَسعودٍ ﷺ قال:**

قال رسولُ اللهِ ﷺ:" عليكم بالصِّدقِ؛ فإنَّ الصِّدقَ يهدي إلى البِرِّ[1]، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ ليَصدُقُ[2] ويتحرَّى الصِّدقَ حتَّى يُكتَبَ عند اللهِ صِدِّيقًا. وإيَّاكم والكَذِبَ؛ فإنَّ الكَذِبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفُجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرَّجُلُ يَكذِبُ، ويتحرَّى الكَذِبَ حتَّى يُكتَبَ عِندَ اللهِ كَذَّابًا"

وفي الحديث إشعار بحسن خاتمة الصادق الذي يتكرر منه الصدق، وسوء خاتمة الكذَّاب الذي يتكرر منه الكذب.

قال العُلَماءُ: هذا فيه حثٌّ على تحرِّي الصِّدقِ، وهو قَصدُه والاعتناءُ به، وعلى التَّحذيرِ من الكَذِبِ والتَّساهُلِ فيه؛ فإنَّه إذا تساهل فيه كثُرَ منه فعُرِف به، وكَتَبه اللهُ لمبالغتِه صِدِّيقًا إن اعتاده، أو كذَّابًا إن اعتاده. ومعنى يُكتَبُ هنا يُحكَمُ له بذلك، ويستَحِقُّ الوصفَ بمنزلةِ الصِّدِّيقين وثوابِهم، أو صفةِ الكذَّابين وعقابِهم، والمرادُ إظهارُ ذلك للمخلوقين، إمَّا بأن يكتُبَه في ذلك؛ ليشتَهِرَ بحَظِّه من الصِّفتَين في الملأِ الأعلى، وإمَّا بأن يُلقيَ ذلك في قلوبِ النَّاسِ وألسنَتِهم، وكما يوضَعُ له القَبولُ والبَغضاءُ، وإلَّا فقَدَرُ اللهِ تعالى وكتابُه السَّابِقُ بكُلِّ ذلك ". (شرح صحيح مسلم للنووي:١٦/٢٤١).

فالصدق من أعظم وأجلِّ الصفات الإسلامية فهو رأس مال الفائزين، وزاد المتقين، وطريق السالكين إلى رب العالمين، وهو حلة الأتقياء، ومفخرة العظماء، وسبيل الأولياء، مَن صال به لا تُردُّ صولته، ومَن نطق به عَلَتْ على الخصوم كلمته.

يقولُ ابنُ القَيِّمِ–رحمه الله–:" الصدق منزِلُ القومِ الأعظمُ الذي منه تنشَأُ جميعُ منازِلِ السَّالكين، ومن نطَق به علَت على الخصومِ كلِمتُه، فهو روحُ الأعمالِ، ومحكُّ الأحوالِ، وهو أساسُ بناءِ الدِّينِ، وعمودُ فُسطاطِ اليقينِ، ودرجتُه تاليةٌ لدرجةِ النُّبُوَّةِ، وقد أمَر اللهُ سُبحانَه أهلَ الإيمانِ أن يكونوا مع الصَّادقين، وخَصَّ المنعَمَ عليهم بالنَّبيِّين والصِّدِّيقين والشُّهَداءِ والصَّالحين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة: ١١٩). (مدارج السالكين:٣/٥)

١- البِرّ: بكسر الباء: الطاعة.
٢- يصدق: أي يتكرر منه الصدق.

وكان النبي ﷺ يأمر في رسالته ودعوته بالصدق ويحث عليه:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سُفيانَ في حديثِه الطَّويلِ مع هِرَقلَ، عندما سأله هِرَقلُ عن النَّبيِّ ﷺ فقال: ماذا يأمُرُكم؟ قلتُ: يقولُ: اعبُدوا اللهَ وَحْدَه ولا تُشرِكوا به شيئًا، واترُكوا ما يقولُ آباؤكم، ويأمُرُنا بالصَّلاةِ والصِّدقِ، والعفافِ والصِّلةِ... ".

والصدق أحب الحديث إلى النبي ﷺ

فقد أخرج البخاري من حديث المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قام حين جاءَه وَفدُ هَوازِنَ مُسلِمين، فسألوه أن يَرُدَّ إليهم أموالَهم وسَبْيَهم، فقال لهم رسولُ اللهِ ﷺ:" أحَبُّ الحديثِ إليَّ أصدَقُه، فاختاروا إحدى الطَّائفتينِ: إمَّا السَّبيَ، وإمَّا المالَ ".

وقولُه ﷺ:" وأحبُّ الحديثِ إليَّ أصدَقُه". فيه إشارةٌ إلى طلبِ الصِّدقِ منهم.

(شرح سنن أبي داود لابن رسلان:١١/ ٥٣٦).

وقولُه ﷺ:" أصدَقُه" قيل: أراد به ما طابقَ الواقعَ، وزاد باشتمالِه على موعظةٍ وترغيبٍ في الخيرِ، وزَجرٍ عن الشَّرِّ، ويحتَمِلُ أنَّه أراد بأصدَقِ الحديثِ القُرآنَ. **(التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني:١/ ٣٩٢).**

مجـــالات الصدق

علينا أن نلتزم الصدق في جميع أحوالنا: من أقوال، وأفعال، ونيات.

يقول القشيري –رحمه الله– مُعرِّفًا الصدق: " أن لا يكون في أحوالك شوبٌ[1]، ولا في اعتقادك ريب، ولا في أعمالك عيب ".

ويقول ابن القيم –رحمه الله–كما في "مدارج السالكين:٢/ ٢٨١": " والصدق ثلاثة: قول، وعمل، وحال: فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السُّنْبُلةِ على ساقها. والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد. والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع وبذل الطاقة، فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق، وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به تكون صِدِّيقيَّتُهُ، كما فعل أبو بكر الصديق ﷺ ". اهـ

١ـ الشوْب: هو ما اختلط بغيره من الأشياء.

١ - الصدق في الأقوال:

علينا أن نلتزم الصدق في الأقوال، فهذا دليل الإيمان.

وقد روي عن عائشة –رضي الله عنها– قالت: **" يُعْرَف المؤمن بوقاره، ولين كلامه، وصدق حديثه".**

ويقول ابن قدامة–رحمه الله–: " وينبغي أن يراعي العبد معنى الصدق في ألفاظه التي يناجي بها ربه، ***كقوله:*** **" وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض"**، فإن كان قلبه منصرفًا عن الله، مشغولًا بالدنيا فهو كاذب ".

٢ - الصدق في الأعمال:

وهو أن تستوي سريرة العبد وعلانيته، فلا يخالف عمله قوله فهذا عين الصدق، وخلاف ذلك هو الكذب والنفاق.

– ***يقول الحسن البصري–رحمه الله–:*** " يُعد من النفاق اختلاف القول والعمل، واختلاف السر والعلن، والمدخل والمخرج، وأصل النفاق والذي بني عليه هو الكذب ".

– ***يقول زيد بن الحارث–رحمه الله–:*** " إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك الإنصاف، وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل، وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور، **وأنشد:**

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى ... فقد عز في الدارين واستوجب الثنا

فإن خالف الإعلان سرًّا فما له ... على سعيه فضل سوى الكد والعنا

– ***وقد عرَّف بعضهم الصدق بأنه:*** " استواء السر والعلانية، والظاهر والباطن، وبألَّا تكذب أحوال العبد أعماله، ولا أعماله أحواله".

أفلح مَن وافق عمله قوله:

أخرج البخاري ومسلم من حديث طلحة بن عبيد الله ﷺ: **" أن أعرابيًا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس[١]، فقال: يا رسول الله! أخبرني ماذا فرض الله عليّ من الصلاة؟ فقال: " الصلوات الخمس إلا أن تطوَّعَ شيئًا"، فقال: أخبرني بما فرض الله عليّ من الصيام؟ فقال: " شهر رمضان إلا أن تطوَّعَ شيئًا"، قال: فأخبرني بما فرض الله عليّ من الزكاة؟ فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك بالحق لا أتَطَوَّعُ شيئًا ولا أنقص ممَّا فرض الله عليّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ:" أفلح إن صَدَقَ، أو دخل الجَنَّة إن صدق ".**

١ - ثائر الرأس: منتشر الرأس.

٣- الصدق في النية والإرادة:

ومرجع ذلك إلى الإخلاص، فمَن قصد بعمل الآخرة الدنيا، وخالط عمله شوب من حظوظ النفس؛ بطل صدق النية، وصاحبه كاذب في نيَّته، كما في حديث الثلاثة: العالم والقارئ، والمجاهد، والمُتَصَدِّق، فلما قال القارئ: قرأت القرآن... إلى آخره"، إنما كَذَّبَهُ الله تعالى في إرادته ونيته، لا في نفس القراءة، وكذلك صاحباه.

مَن يصدق الله في نيته وإرادته؛ يصدقه الله تعالى:

فقد أخرج الطبراني والحاكم عن شداد بن الهاد: **" أن رجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه، ثم قال: أهاجِرُ معك، فأوصي به النبي ﷺ بعض الصحابة، فلما كانت غزوة غَنِمَ النبي ﷺ سبيًا، فقسم وقسم له، فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه، فقال: ما هذا؟ قالوا: قسمٌ قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ، فقال: ما هذا؟ قال: قسمتُهُ لك، قال: ما على هذا اتَّبعْتُكَ، ولكني اتَّبعْتُكَ على أن أُرمَى إلى هاهنا – وأشار إلى حلقه – بسهمٍ، فأموت؛ فأدخل الجَنَّة، فقال له النبي ﷺ: إن تَصْدُق الله يصدُقْك، فلبثوا قليلًا، ثم نهضوا في قتال العدو، فأُتِيَ به النبي ﷺ يُحْمَلُ قد أصابه سهمٌ حيث أشار، فقال النبي ﷺ:" أهو هو؟ قالوا: نعم، قال:" صدق الله فصدقه ".**

– وصدق النية يصل بصاحبه إلى أعلى المقامات:

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام مسلم من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **" مَن سأل الله الشهادة بصدق؛ بلَّغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ".**

٤- الصدق في العزم:

ومثاله: أن يعزم الإنسان على شيء يعود عليه بالنفع في دينه، كأن يعزم على الحج مثلًا إن آتاه الله مالًا، أو يتَصَدَّق، فيأتيه المال فلا يفعل ما نواه وعزم عليه، فهذا قد خالف ما عاهد الله عليه

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ (٧٦) فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ (التوبة:٧٥-٧٧)

فجعل الله العزم عهدًا ووعدًا، وجعل الخلف فيه كذبًا، والوفاء به صدقًا.

٥- الصدق في مقامات الدين، وهي أعلى الدرجات:

كالصدق في حسن التَّوكُّل على الله:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **" إن رجلًا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أشهدهم، فقال كفى بالله شهيدًا، قال: فائتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمَّى، فخرج في البحر فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقدم عليها للأجل الذي أجَّلهُ، فلم يجد مركبًا يركبها، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زج[1] موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم إني تسلفت فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلت: كفي بالله كفيلًا، وسألني شهيدًا، فقلت: كفي بالله شهيدًا، فرَضِيَ بك، وإني جهدت أن أجد مركبًا أبعثُ إليه الذي له فلم أجد، وإني استودعتها، فرمي بها إلى البحر حتى ولجت[2] فيه...، ثم انصرف، فخرج الرجل الذي كان أَسْلَفَهُ ينظر لعله يجد مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي أسلفه، فأتى بالألف دينار، وقال: ما زلت جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدت مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: كنت قد بعثت لي شيئًا؟ قال: أخبرتك إني لم أجد مركبًا قبل الذي جئت فيه، قال: فإن الله قد أدَّى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشدًا "**.

فهذا هو الصدق في التَّوَكُّل على الله تعالى، ومَن توَكَّل على الله بصدق كفاه.

وكذلك الصدق في الخوف:

فلو أن رجلًا علم أن السلطان يطلبه ويريد أن يبطش به، كيف ترتعد فرائصه، ويصفر وجهه، ولله المثل الأعلى، فكثير من الناس يقولون بألسنتهم: نخاف الله، مع ذلك تجدهم يتجرءون عليه، ويبارزونه بالمعاصي، وينتهكون محارمه، ويتعدّون حدوده، وتراهم يخافون من النار، ولا يظهر عليهم شيء من ذلك عند فعل المعصية، فإن هذا الخوف كاذب، وليس خوفًا حقيقيًا صادقًا.

وكذلك الصدق في الرجاء، والزهد، والرضا، والحب، والتوبة... وغير ذلك من أعمال القلوب، والتي لا يَطَّلِع عليها إلا علَّام الغيوب، ولا يتَّسِع المقام لتناول هذه الأعمال بالشرح والتفصيل.

لكن خلاصة الأمر أن يلتزم الإنسان الصدق في جميع أحواله.

١- زج: أي سوَّى موضع النقر وأصلحه.
٢- ولج: أي دخل.

أخرج الإمام أحمد وابن حبان من حديث عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجَنَّة: اصدُقوا إذا حَدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأَدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجَكُم، وغُضُّوا أبصاركم، وكُفُّوا أيديكم ". (صحيح الجامع:١٠١٨)

أحبتي في الله.. إن غاية كل إنسان منا النجاة من عذاب الله، والفوز بالجَنَّة، فكل نعيم دون الجَنَّة سراب، وكل عذاب دون النار عافية، والفوز بالجَنَّة والنجاة من النار لا يكون إلا بالصدق مع الله، ومع النفس، ومع الخلق، وترك الكذب الذي هو أصل كل شر.

فضل الصدق:

١- الصدق وصَف اللّهُ به نفسَه، وكفى بهذا شرفًا:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (النساء:٨٧)

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ (النساء:١٢٢)

أي: لا أحَدَ أصدَقُ منه في حديثِه وخبَرِه، ووَعدِه ووعيدِه سُبحانَه؛ فحديثُه وأخبارُه وأقوالُه في أعلى مراتِبِ الصِّدقِ، فليس في كلامِ اللهِ سُبحانَه وتعالى شيءٌ من الكَذِبِ إطلاقًا.

(جامع البيان لابن جرير:٢٧٩/٧) (تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٣٧٠/٢) (تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ١٩١)

٢- الصدق دليل الإيمان:

وكما أن الكذب بريد الكفر والنفاق، فإن الصدق بريد الإيمان ودليله؛ لذا لا يجتمع كذبٌ وإيمانٌ في قلب عبد أبدًا، وقد قسم الله سبحانه الناس إلى صادق ومنافق، **فقال تعالى:** ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاء أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ (الأحزاب:٢٤)، لذا أمرنا رب العالمين في كتابه الكريم أن نكون مع الصادقين، **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (التوبة:١١٩)

فقد أخرج البيهقي في "الشعب" من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ قال: " يطبع المؤمن على الخلال كلها[1] إلا الخيانة والكذب".

- *وفي رواية:* " يطبع المؤمن على كل خلة غير الخيانة والكذب ".

(قوَّى إسناده الحافظ ابن حجر في "الفتح":٥٢٤/١٠) (وضعفه الألباني في" الترغيب": ١٧٤٨)

- *يقول أبو بكر الصديق ﷺ:* " الكذب يجانب الإيمان ".

(قال الحافظ في" الفتح:٥٢٤/١٠":" أخرجه البيهقي في "الشعب" بسند صحيح وأخرجه عنه مرفوعًا، وقال الصحيح موقوف)

١- أي يعود على الخصال جميعها، وتكون كسجية، وتنقش صورها عنده، إلا خصلتين هو براء منهما فلا تجده كاذبًا خائنًا.

ويقول ابن القيم–رحمه الله– كما في" زاد المعاد:٣/٥١٦": " فلا يجتمع الكذب والإيمان إلا ويطرد أحدهما صاحبه، ويستقر موضعه ". اهـ

فدلَّ هذا على أن المؤمن لا يكون كذَّابًا.

– وقد جاء في حديث أخرجه الإمام مالك بسند فيه مقال من حديث صفوان بن سليم ﷺ قال: **" قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن جبانًا؟ قال: نعم، قيل: يا رسول الله، أيكون المؤمن بخيلًا؟ قال: " نعم، قيل: أيكون المؤمن كذَّابًا؟ قال:" لا ".**

فالصدق من أعظم منازل الدين، الذي نشأ من جميع منازل السالكين، وهو الطريق الأقوم الذي مَن لم يسلكه؛ فهو من المنقطعين الهالكين.

وبه يتميز أهل النفاق من أهل الإيمان، وسكان الجنان من أهل النيران، وهو سيف الله في أرضه، الذي ما وضع على زور إلا قطعه، ولا واجه باطلا إلا أزاله وصرعه.

وهو روح الأعمال، ومَحَلُّ الأحوال، والحامل على اقتحام الأهوال، والباب الذي دخل منه الواصلون إلى حضرة ذي الجلال. (انظر بصائر ذوي التمييز:٣/٣٩٧)

٣- حصولُ البَركةِ في الأعمالِ والأموالِ وفي البيعِ والشِّراءِ:

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديثِ حكيمِ بنِ حزامٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" البَيِّعانِ بالخيارِ ما لم يتفرَّقا –أو قال: حتى يتفرَّقا–، فإن صدَقَا وبَيَّنَا بورِكَ لهما في بيعِهما، وإنْ كَتَما وكَذَبا مُحِقَت بَرَكةُ بَيْعِهما ".**

وحُصولُ البركةِ لهما إن حَصَل منهما الشَّرطُ، وهو الصِّدقُ والتَّبيينُ، ومَحْقُها إن وُجِد ضِدُّهما، وهو الكَذِبُ. (فتح الباري لابن رجب:٤/٣١١).

٤- الصدق يجعل صاحبه من أفضل الناس:

فقد أخرج ابن ماجه بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: **" قيل: يا رسول الله! أي الناس أفضل؟ قال:" كل مخموم القلب، صدوق اللسان"، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال:" هو التقي النقي، الذي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلٌّ، ولا حسد ".**

(السلسلة الصحيحة: ٩٤٨)

٥- الصدق سبيل لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ:

فقد أخرج الطبراني عن عبد الرحمن بن الحارث عن أبي قراد السّلمي ﷺ قال: " كنا عند النبي ﷺ فدعا بطهور، فغمس يده فتوضأ، فتبعناه فحسوناه، فقال النبي ﷺ:" ما حملكم على ما فعلتم؟ قلنا: حب الله ورسوله، قال: فإذا أحببتم أن يحبَّكم الله ورسوله، فأدُّوا إذا اؤتمنتم، واصدقوا إذا حدَّثْتُم، وأحسنوا جوارَ مَن جاوركم ". (صحيح الجامع:١٤٠٩)

٦- الصدق يكفر الله به الذنوب ويغفر به السيئات:

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاء الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الزمر:٣٣-٣٥)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٣٥).

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء الموصوفين بتلك الصِّفاتِ الجميلةِ، والمناقبِ الجليلةِ، التي هي ما بَيْنَ اعتقاداتٍ وأعمالِ قلوبٍ، وأعمالِ جوارحَ، وأقوالِ لسانٍ، ونفعٍ متعَدٍّ وقاصرٍ، وما بَيْنَ أفعالِ الخيرِ، وتركِ الشَّرِّ، الذي من قام بهنَّ فقد قام بالدِّينِ كُلِّه، ظاهِرِه وباطِنِه، بالإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ.

فجازاهم على عمَلِهم بالمغفرةِ لذنوبهم؛ لأنَّ الحسناتِ يذهِبنَ السَّيئاتِ وَأَجْرًا عَظِيمًا لا يَقدُرُ قَدْرَه إلَّا الذي أعطاه، ممَّا لا عينٌ رأت، ولا أذُنٌ سَمِعت، ولا خطَر على قلبِ بشَرٍ، نسألُ اللهَ أن يجعَلَنا منهم.

(تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٦٦٤)

٧- الصدق منجـاة:

قال تعالى: ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (المائدة: ١١٩).

أي: ينفَعُ الصَّادقين في الدُّنيا صِدقُهم في الآخرةِ، ولو كذبوا خَتَم اللهُ على أفواهِهم، ونطَقَت به جوارحُهم فافتَضَحوا. (معالم التنزيل للبغوي:٣/١٢٣).

ويستفادُ من هذه الآيةِ الحثُّ على الصِّدقِ، والتَّرغيبُ فيه، وبيانُ الفائدةِ العظيمةِ للصِّدقِ؛ لكونِه نافعًا للإنسانِ في ذلك الوقتِ الحَرِجِ يومَ القيامةِ، الذي يكون الإنسانُ فيه أحوجَ ما يكونُ إلى ما ينفَعُه ".

(تفسير ابن عثيمين – سورة المائدة:٢/٥٦٩).

فالصدق يُنجِّي السالك، والكذب يهدي به إلى المهالك، ولا أدل على ذلك من قصة كعب بن مالك ﷺ حينما صَدَقَ النبيَّ ﷺ ولم يكذب عليه، عندما تخلَّف عنه في غزوة تبوك.

والحديث أخرجه البخاري عن كعب بن مالك ﷺ حيث قال: **" لم أتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ إلا في غزوة تبوك..." الحديث ثم قال: "...فلما بلغني أن رسول الله ﷺ قد توجَّه قافلًا [١] من تبوك، حضرني بثِّي [٢]، فطفقت [٣] أتذكر الكذب، وأقول: بِمَ أخرج من سخطه غدًا؟ وأستعين على ذلك كلَّ ذي رأيٍ من أهلي، فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادمًا؛ زاح عني الباطل، حتى عرفت أني لن أنجو منه بشيء أبدًا، فأجمعت صدقه، وصَبَّحَ رسول الله ﷺ قادمًا، وكان إذا قَدِمَ من سفرٍ، بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفُون فطفقوا يعتذرون إليه – وكانوا بضعة وثمانين رجلًا – فقَبِلَ منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكَّل سرائرهم إلى الله. حتى جئت فلمَّا سلَّمت تَبَسَّمَ تَبَسُّم المغضب، ثم قال: تعال، فجئت أمشي حتى جلستُ بين يديه، فقال لي: ما خلَّفَكَ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك[٤]؟ قال: قلت: يا رسول الله! إني والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذرٍ، ولقد أُعطيتُ جَدَلًا، ولكني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليوم حديثَ كذبٍ ترضى به عنِّي ليُوشكنَّ الله أن يُسْخِطك علي، ولئن حدَّثْتُك حديث صدقٍ تجدُّ عليّ فيه [٥] إني لأرجو فيه عقبى الله، والله ما كان لي من عذرٍ، والله ما كنتُ قط أقوى ولا أيسر من حين تخلَّفتُ عنك، قال رسول الله ﷺ: أمَّا هذا فقد صدق، فَقُم حتى يقضي الله فيك..."** الحديث.

فكانت العاقبة أن تاب الله عليه، ونزَّل فيه وصاحباه قرآنًا يُتْلَى إلى قيام الساعة.

يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني –رحمه الله–: " بنيت أمري على الصدق، وذلك أني خرجت من مكة إلى بغداد أطلب العلم، فأعطتني أمي أربعين دينارًا، وعاهدتني على الصدق، ولما وصلنا أرض (همدان) خرج علينا عرب فأخذوا القافلة، فمرَّ واحدٌ منهم، وقال: ما معك؟ قلت: أربعون دينارًا، فظنَّ أني أهزأ به، فتركني، فرآني رجل آخر، فقال: ما معك؟ فأخبرته، فأخذني إلى أميرهم، فسألني، فأخبرته، فقال: ما حملك على الصدق؟ قلت: عاهدتني أمي على الصدق، فأخاف أن أخون عهدها، فصاح الأمير باكيًا، وقال: أنت تخاف أن تخون عهد أمك، وأنا لا أخاف أن أخون عهد الله، ثم أمر برد ما أخذوه من القافلة، وقال: أنا تائب لله على يديك، فقال من معه: أنت كبيرنا في قطع الطريق، وأنت اليوم كبيرنا في التوبة؛ فتابوا جميعًا بفضل الله تعالى، ثم ببركة الصدق ".

وصدق الجنيد –رحمه الله–حيث قال: " حقيقة الصدق: أن تصدق في موطن لا يُنَجِّيك منه إلا الكذب". (مدارج السالكين:٢/٢٩٠)

١- قافلًا: راجعًا.
٢- البثُّ: الحزن، والمعنى أنني حزنت.
٣- فطفقت: أي بدأت.
٤- ابتعت ظهرك: أي اشتريت دابة للحرب.
٥- تجدُّ عليّ فيه: أي تغضب عليَّ بسببه.

وفي حديثِ نُزولِ الوَحيِ على النَّبيِّ ﷺ؛ والحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث عائشةَ –رَضِيَ اللهُ عنها– وفيه:"... فرجع بها رسولُ اللهِ ﷺ ترجُفُ بوادِرُه، حتى دخل على خديجةَ، فقال: زَمِّلوني زَمِّلوني! فزَمَّلوه، حتى ذهب عنه الرَّوعُ، قال لخديجةَ: أيْ خديجةُ، ما لي؟! لقد خَشِيتُ على نفسي! فأخبَرَها الخبَرَ، قالت خديجةُ: كلَّا، أبشِرْ، فواللهِ لا يُخزيك اللهُ أبدًا؛ فواللهِ إنَّك لتَصِلُ الرَّحِمَ، وتَصدُقُ الحديثَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتَكسِبُ المعدومَ، وتَقْري الضَّيفَ، وتُعينُ على نوائِبِ الحَقِّ ".

قال العُلَماءُ:" معنى كلامِ خديجةَ –رَضِيَ الله عنها–: إنَّك لا يصيبُك مكروهٌ لِما جعل اللهُ فيك من مكارِمِ الأخلاقِ وكَرَمِ الشَّمائِلِ، وذكرَت ضُروبًا من ذلك، وفي هذا دَلالةٌ على أنَّ مكارمَ الأخلاقِ وخِصالَ الخيرِ – ومنها خُلُقُ الصِّدقِ– سببُ السَّلامةِ من مَصارِعِ السُّوءِ ". (شرح صحيح مسلم للنووي:٢/ ٢٠٢).

٨- والصدق راحة للبال، وانشراحًا للصدر، وطمأنينة للقلب:

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث أبي محمَّدٍ الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أبي طالبٍ –رَضِيَ الله عنهما– قال: حفِظتُ من رسولِ اللهِ ﷺ: " دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يريبُك؛ فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ، والكَذِبَ رِيبةٌ ". (صحيح سنن الترمذي:٢٥١٨) (صحيح الجامع:٣٣٧٨)

وقوله ﷺ:" دَعْ ما يَرِيبُك أي: اترُكْ ما تشُكُّ في كونِه حسَنًا أو قبيحًا، أو حلالًا أو حرامًا،" إلى ما لا يَرِيبُك" أي: واعدِلْ إلى ما لا شَكَّ فيه، يعني ما تيقَّنْتَ حُسنَه وحِلَّه،" فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ" أي: يَطمَئِنُّ إليه القلبُ ويَسكُنُ، وفيه إضمارٌ، أي: محَلُّ طمأنينةٍ أو سببُ طمأنينةٍ "وإنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ" أي: يُقلِقُ القلبَ ويَضطَرِبُ. (فيض القدير للمناوي:٣/ ٥٢٩).

قال التُّورِبِشتيُّ–رحمه الله–:" وقوله ﷺ:" فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنينةٌ، والكَذِبَ رِيبةٌ"، معناه: إذا وجَدْتَ نَفسَك ترتابُ في الشَّيءِ فاترُكْه؛ فإنَّ نفسَ المُؤمِنِ تطمَئِنُّ إلى الصِّدقِ، وترتابُ من الكَذِبِ؛ فارتيابُك في الشَّيءِ مُنبئٌ عن كونِه باطلًا أو مَظِنَّةً للباطِلِ فاحذَرْه، واطمِئنانُك إلى الشَّيءِ مُشعِرٌ بكونِه حَقًّا، فاستمسِكْ به ".
(الكاشف عن حقائق السنن للطيبي:٧/ ٢١٠٧)

٩- الصدق سبب لنزول البركة:

ففي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث حكيم بن حزام ﷺ أن النبي ﷺ قال: " البَيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقَا، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما، وإن كتمَا وكذبَا محقت بركة بيعهما ".

١٠ - الصدق سبب للفوز برضوان الله عز وجل:

قال تعالى عن عاقبة الصادقين يوم القيامة: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (المائدة: ١١٩)

١١ - الصدق سبيل لدخول الجَنَّة:

قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ(١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ(١٥) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ(١٦) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ (آل عمران: ١٤- ١٧)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عبادة بن الصامت ﷺ أن النبي ﷺ قال: " اضمنوا[١] لي ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجَنَّة: اصدُقوا[٢] إذا حَدَّثْتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأَدُّوا إذا ائتمنتم[٣]، واحفظوا فروجَكُم[٤]، وغُضُّوا أبصاركم[٥]، وكُفُّوا أيديكم[٦]". (صحيح الجامع:١٠١٨) (صحيح الترغيب والترهيب:١٩٠١)

– *وفي رواية عند البيهقي في "شعب الإيمان" وفي "مستدرك الحاكم" عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:* "تقبلوا لي ستًّا؛ أتقبل لكم الجَنَّة: إذا حدَّث أحدُكم فلا يكذب، وإذا وعد فلا يُخلِف، وإذا ائتمن فلا يَخُن، غُضُّوا أبصارَكم، وكُفُّوا أيديكم، واحفَظُوا فروجكم ". (صحيح الجامع:٢٩٧٨)

– *وقد مرَّ بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* "عليكم بالصدق فإن الصدقَ يهدي إلى البِرّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجَنَّة، وما يزالُ الرجلُ يَصْدُقُ ويتحرَّى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صِدِّيقًا...". الحديث

– *وفي رواية عند الطبراني في "المعجم الكبير" من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " عليكم بالصدق فإنه يهدي إلى البر وهما في الجَنَّة، وإياكم والكذب فإنه يهدي إلى الفجور وهما في النار".

١- اضمنوا: أي اضمنوا فعل ست خصال بالمداومة عليها؛ أضمن لكم دخول الجَنَّة مع السابقين الأولين نظير فعلها، أو من غير سبق عذاب.
٢- اصدقوا: أي لا تكذبوا في شيء من حديثكم، إلا أن يترتَّب على الكذب مصلحة، كالإصلاح بين الناس.
٣- أَدُّوا إذا ائتمنتم: أي أدوا الأمانة لمَن ائتمنكم عليها، يقول الحفني: "الأمانة في مال أو وديعة، ويحتمل أن المراد: أدوا جميع المأمورات التي أُئتمنتم عليها، واجتنبوا المنهيات.
٤- احفظوا فروجكم: أي عن فعل الحرام: من زنا، ولواط، أو استمناء.
٥- غُضُّوا أبصارَكم: أي عن النظر إلى ما لا يحلُّ.
٦- كُفُّوا أيديكم: أي امنعوها من تعاطي ما لا يجوز تعاطيه شرعًا.

– وفي رواية أخرى عند ابن ماجه: " عليكم بالصدق، فإنه مع البر، وهما في الجَنَّة، وإيَّاكم والكذب، فإنه مع الفجور، وهما في النار، وسلُوا الله اليقين والمعافاة، فإنه لم يؤتَ أحدٌ بعد اليقين خيرًا من المعافاة، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، كما أمركم الله".

(صحيح الجامع: ٤٠٧٢)

وأخرج أبو داود عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " أنا زعيمٌ ببيتٍ في رَبَضِ الجنةِ لمَن تَرَكَ المِراءَ وإن كان مُحِقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنةِ لمَن تركَ الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنةِ لمَن حَسُنَ خُلُقُه ". (صحيح أبي داود: ٤٨٠٠) (صحيح الجامع:١٤٦٤)

١٢- بل سيكون الصادق في أعلى درجات الجنة مع النبين والشهداء والصالحين:

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (النساء: ٦٩).

قال الشَّوكانيُّ–رحمه الله–:" قولُه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ كلامٌ مستأنَفٌ لبيانِ فضلِ طاعةِ اللهِ والرَّسولِ، والإشارةُ بقولِه: ﴿فَأُولَئِكَ﴾ إلى المطيعين، ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ بدخولِ الجنَّةِ، والوصولِ إلى ما أعَدَّ اللهُ لهم، والصِّدِّيقُ: المبالغُ في الصِّدقِ، كما تفيدُه الصِّيغةُ، وقيل: هم فضلاءُ أتباعِ الأنبياءِ، والشُّهداءُ: من ثبتت لهم الشَّهادةُ، والصَّالحين: أهلُ الأعمالِ الصَّالحةِ ".

(فتح القدير:٢/١٧٢)

وأخيراً... أوصيك أخي الحبيب بما وصَّى به سليمان حيث قال:" اجعل الصدق مطيتك، والحق سيفك، والله تعالى غاية طلبك ".

وأختم بهذه الوصية الجامعة للحبيب النبي ﷺ الذي ما ترك خيرًا إلا دلَّنا عليه، ولا شرًّا إلا حذَّرنا منه ففي حديث أخرجه الإمام أحمد والحاكم من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ:" أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتَك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظُ الأمانة، وحُسن الخُلُقِ، وعِفَّةُ مَطْعَم ". (صحيح الجامع:٨٧٣) (الصحيحة:٧٣٣)

ويقول النبي ﷺ لمعاذ ﷺ:" أوصيك بتقوى الله، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبذل السلام، وخفض الجناح ". (رواه أبو نعيم في الحلية)

من أقوالِ السلَّفِ والعلُماءِ في الحث على الصدق وبيان فضله، وترك الكذب وبيان قبحه:

١ – ***قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ حينما بويعَ للخلافةِ:*** " أيُّها النَّاسُ، إني قد وُلِّيت عليكم، ولستُ بخَيرِكم، فإن أحسَنْتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني، الصِّدقُ أمانةٌ، والكَذِبُ خيانةٌ ".

(أخرجه الطبري في التاريخ:٢/٢٣٧ من حديثِ أنسٍ ﷺ) (وصحَّح إسنادَه شعيب الأرناؤوط في تخريج مسند أبي بكر:١/١٥٩).

٢ – ***وقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ﷺ:*** " لأَنْ يَضَعَني الصِّدقُ – وقلَّما يَضَعُ– أحَبُّ إليَّ من أن يرفَعَني الكَذِبُ، وقلَّما يَفعَلُ ". (أدب الدنيا والدين للماوردي:١/٢٦٣).

– ***وقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ أيضًا:*** " عليكم بالصِّدقِ، فإنْ ظَنَّ أحَدُكم أنَّه مُهلِكُه فإنَّه أنجى له ".

(حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٧/ ٢٨٧).

– ***وقال عُمَرُ بنُ الخطَّابِ أيضًا:*** " قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله ".

٣ – ***ويقول ابن عباس –رضي الله عنهما–:*** " أربعٌ مَن كن فيه فقد ربح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر".

٤ – ***ويقول عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–:*** " ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين صاحبه ".

٥ – ***وقال الشعبي–رحمه الله–:*** " عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك ".

٦ – ***وقال إسماعيلُ بنُ عُبَيدِ اللهِ–رحمه الله–:*** " كان عبدُ المَلِكِ بنُ مَروانَ يأمُرُني أن أُجَنِّبَ بنيه السِّمَنَ، وكان يأمُرُني ألَّا أطعِمَهم طعامًا حتى يخرُجوا إلى البَرازِ[1]، وكان يقولُ: عَلِّم بَنِيَّ الصِّدقَ كما تُعَلِّمُهم القرآنَ، وجَنِّبْهم الكَذِبَ، وإن كان فيه كذا وكذا، يعني القَتلَ ".

(مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص: ٤٧) (روضة العقلاء ص: ٥١).

ويقول الشاعر:

عَوِّد لسانك قول الصدق تحظَ به إن اللسان لما عوَّدت معتاد

٧ – ***وقال وَهب بن منبه–رحمه الله–:*** " من عُرِف بالصِّدقِ ائتُمِنَ على حديثِه ".

(أخرجه أبو نعيم في" حلية الأولياء":٤/ ٦٣).

٨ – ***وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ–رحمه الله–:*** " ما مِن مُضغةٍ أحَبُّ إلى اللهِ من لسانٍ صَدوقٍ، وما من مُضغةٍ أبغَضُ إلى اللهِ من لسانٍ كَذوبٍ ". (رواه ابنُ حبان في روضة العقلاء ص: ٥٢).

– ***وقال الفُضيلُ أيضًا:*** " ما تزيَّن النَّاسُ بشَيءٍ أفضَلَ من الصِّدقِ، واللهُ عزَّ وجَلَّ يسألُ الصَّادقين عن صِدقِهم، كيف بالكذَّابينَ؟! ثمَّ بكى ". (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٨/ ١٠٨ بتصرُّفٍ).

---

١ ـ البَرازُ: المكانُ الفضاءُ من الأرضِ، البعيدُ الواسِعُ. (لسان العرب لابن منظور:٥/٣٠٩).

٩- ***وقال الأحنَفُ لابنِهِ-رحمه الله-:*** " يا بُنَيَّ، يكفيك من شَرَفِ الصِّدقِ أنَّ الصَّادِقَ يُقبَلُ قولُه في عَدُوِّه، ومن دناءةِ الكَذِبِ أنَّ الكاذِبَ لا يُقبَلُ قولُه في صديقِه ولا عَدُوِّه، لكُلِّ شيءٍ حِليةٌ، وحِليةُ المنطِقِ الصِّدقُ؛ يدُلُّ على اعتدالِ وزنِ العَقلِ ". **(نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري:٣/٢٢٤).**

١٠- ***وقال إبراهيمُ الخوَّاصُ-رحمه الله-:*** " الصَّادِقُ لا تراه إلَّا في فَرضٍ يؤديه، أو فضلٍ يَعمَلُ فيه ".
(مدارج السالكين لابن القيم:٣/٢٠).

١١- ***وقال معروفُ الكَرْخيِّ-رحمه الله-:*** " ما أكثَرَ الصَّالحينَ! وما أقَلَّ الصَّادِقين!".
(سير أعلام النبلاء للذهبي:٩/ ٣٤١).

١٢- ***وقال الشَّافعيُّ-رحمه الله-:*** " غايةُ كُلِّ أمرٍ الصِّدقُ ". **(تاريخ دمشق لابن عساكر:٥١/ ٤٠٨).**

١٣- ***وقال أبو حاتمِ بنُ حِبَّانَ-رحمه الله-:*** " الصِّدقُ يرفَعُ المرءَ في الدَّارينِ كما أنَّ الكَذِبَ يهوي به في الحالينِ، ولو لم يكُنِ للصِّدقِ خَصلةٌ تحمَدُ إلَّا أنَّ المرءَ إذا عُرِف به قُبِلَ كَذِبُه، وصار صِدقًا عِندَ من يَسمَعُه؛ لكان الواجبُ على العاقِلِ أن يبلُغَ مجهودَه في رياضةِ لِسانِه حتى يستقيمَ له على الصِّدقِ، ومجانبةِ الكَذِبِ، والعِيُّ في بعضِ الأوقاتِ خيرٌ من النُّطقِ؛ لأنَّ كُلَّ كلامٍ أخطأ صاحِبُه مَوضِعَه، فالعِيُّ خيرٌ منه ". **(روضة العقلاء ص: ٥٤)**

- ***وقال أبو حاتمٍ أيضًا:*** " إنَّ اللهَ جَلَّ وعلا فضَّل اللِّسانَ على سائرِ الجوارحِ، ورَفَع درجتَه، وأبان فضيلتَه، بأن أنطَقَه من بَيْنِ سائرِ الجوارحِ بتوحيدِه، فلا يجِبُ للعاقلِ أن يُعَوِّدَ آلةً خَلَقها اللهُ للنُّطقِ بتوحيدِه، على الكَذِبِ، بل يجبُ عليه المداومةُ برعايتِه بلزومِ الصِّدقِ، وما يعودُ عليه نفعُه في دارَيه؛ لأنَّ اللِّسانَ يقتضي ما عُوِّد؛ إنْ صِدقًا فصِدقًا، وإنْ كَذِبًا فكَذِبًا ". **(روضة العقلاء ص: ٥١).**

١٤- ***وقال الجُنَيدُ-رحمه الله-:*** " حقيقةُ الصِّدقِ: أن تصدُقَ في موطِنٍ لا يُنجيك منه إلَّا الكَذِبُ!".
(مدارج السالكين لابن القيم:٣/٢٠).

١٥- ***وقال القينيُّ-رحمه الله-:*** " أصدَقُ في صِغارِ ما يَضُرُّني، لأصدُقَ في كبارِ ما ينفَعُني ".
(عيون الأخبار لابن قتيبة:٢/٢٨).

١٦- ***وقال إسماعيلُ بنُ عبيدِ بنِ أبي المهاجرِ-رحمه الله-:*** " لما حضرَتْ أبي الوفاةُ جمَع بنيه، وقال: يا بنيَّ عليكم بتقوى الله، وعليكم بالقرآنِ فتعاهدوه، وعليكم بالصِّدقِ حتَّى لو قتَل أحدُكم قتيلًا، ثمَّ سُئِل عنه أقرَّ به، واللهِ ما كذبْتُ كذبةً منذُ قرأتُ القرآنَ، يا بنيَّ وعليكم بسلامةِ الصدورِ لعامةِ المسلمينَ، فواللهِ لقد رأيتُني وأنا لا أخرجُ مِن بابي وما ألقَى مسلمًا إلَّا والذي في نفسي له كالذي في نفسي لنفسي، أفترونَ أنِّي لا أحبُّ لنفسي إلَّا خيرًا؟ ". **(حلية الأولياء لأبي نعيم:٦/ ٨٥) (تاريخ دمشق لابن عساكر:٣٧/ ٤٠٧).**
(انظر موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية)

لكن ما الذي يدفع إلى الصدق ويرغب فيه؟

يجيب عن هذا الإمام الماوردي –رحمه الله– فيقول:

أولًا: العقل: من حيث كونه مُوجِبًا لقبح الكذب.

ثانيًا: الشرع: حيث ورد بوجوب اتباع الصدق، ونهى عن الكذب وحذَّر منه، والله سبحانه لم يشرع إلا كل خير.

ثالثًا: المروءة: لأنها مانعة من الكذب باعثة على الصدق.

رابعًا: حب الاشتهار بالصدق: فمَن يتمتع بهذا الاشتهار بين الناس لا يُرَدُّ عليه قوله ولا يلحقه ندم.

خامسًا: السعادة والطمأنينة: حيث إن الصدق طمأنينة في الفؤاد، وراحة في النفس يجدها الصادقون بخلاف ما يجدها أهل الكذب، من انقباض في صدورهم، وبعدهم عن الطمأنينة، فهم في بحر الشكوك غارقون ". اهـ بتصرف (أدب الدنيا والدين ص:٢٦٢)

فاللهم ارزقنا الصدق في القول والعمل، والسر والعلن.

ثانياً: فضل الحياء:

أخرج البخاري من حديث أبي مسعودٍ البَدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنَّ ممَّا أدرك النَّاسُ من كلامِ النُّبُوَّةِ الأولى: إذا لم تستَحِ فاصنَعْ ما شِئتَ ".

قال الخطَّابيُّ-رحمه الله-: " معنى قولِه: **النُّبُوَّة الأُولى**: أنَّ الحَياءَ لم يَزَلْ أمرُه ثابتًا، واستِعمالُه واجبًا منذُ زَمانِ النُّبُوَّةِ الأُولى، وأنَّه ما من نبيٍّ إلَّا وقد نَدَب إلى الحَياءِ وبَعَث عليه، وأنَّه لم يُنسَخْ فيما نُسِخ من شرائِعِهم، ولم يُبَدَّلْ فيما بُدِّل منها ". (معالم السنن:٤/١٠٩).

والحديثُ فيه تفسيرانِ: أحَدُهما: أنَّه على التَّهديدِ والوعيدِ، والمعنى: مَن لم يستَحِ فإنَّه يصنَعُ ما شاء من القبائِحِ؛ إذ الحامِلُ على تركِها الحَياءُ، فإذا لم يكُنْ هناك حَياءٌ نزَعَه من القبائِحِ، فإنَّه يواقِعُها، وهذا تفسيرُ أبي عُبَيدةَ. **والثَّاني:** أنَّ الفِعلَ إذا لم تستَحِ فيه من اللهِ فافعَلْه، وإنَّما الذي ينبغي تركُه ما يُستَحى منه من اللهِ، وهذا تفسيرُ الإمامِ أحمدَ في روايةِ ابنِ هانئٍ؛ **فعلى الأوَّلِ:** يكونُ تهديدًا، **كقولِه تعالى: {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ}** (فصلت:٤٠)، **وعلى الثَّاني:** يكونُ إذنًا وإباحةً، فإن قيل: فهل من سبيلٍ إلى حملِه على المعنيَينِ؟ قلتُ: لا، ولا على قولِ من يحمِلُ المشتَرَكَ على جميعِ معانيه؛ لِما بَينَ الإباحةِ والتَّهديدِ من المنافاةِ، ولكِنَّ اعتبارَ أحَدِ المعنيَينِ يوجِبُ اعتبارَ الآخَرِ. (الجواب الكافي ص: ٦٩).

١- الحياء من الإيمان:

- أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الإيمانُ بضْعٌ وسَبْعُونَ، أوْ بضْعٌ وسِتُّونَ، شُعْبَةً، فأفْضَلُها قَوْلُ لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وأَدْناها إماطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ، والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ ".

وإنَّما أفرد ﷺ هذه الخَصلةَ من خِصالِ الإيمانِ في هذا الحديثِ، وخَصَّها بالذِّكرِ دونَ غيرِها من باقي شُعَبِ الإيمانِ؛ لأنَّ الحَياءَ كالدَّاعي إلى باقي الشُّعَبِ؛ فإنَّ صاحِبَ الحَياءِ يخافُ فضيحةَ الدُّنيا والآخرةِ، فيأتَمِرُ وينزَجِرُ، فلمَّا كان الحَياءُ كالسَّبَبِ لفِعلِ باقي الشُّعَبِ خُصَّ بالذِّكرِ ولم يُذكَرْ غيرُه معه.

(المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية للسفيري:١/٣٦٥).

قال الخطابي-رحمه الله-: معنى قوله:" **والْحَياءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمانِ** ": أي الحياء يحجز صاحبه عن المعاصي، فصار من الإيمان، إذ الإيمان ينقسم على: ائتمار بما أمر الله به، وانتهاء عما نهى الله عنه". (معالم السنن:٤/٣١٢)

وقال البغوي-رحمه الله-: " أنه لما كان الحياء سببًا يمنع صاحبه عن المعاصي كالإيمان، عدّ الحياء من شعب الإيمان، وإن لم يكن أمرًا مكتسبًا ".

وقال السَّعديُّ–رحمه الله–: " لعَلَّ ذِكرَ الحَياءِ؛ لأنَّه السَّبَبُ الأقوى للقيامِ بجميعِ شُعَبِ الإيمانِ؛ فإنَّ من استحيا من اللهِ لتواتُرِ نِعَمِه، وسوابِغِ كرَمِه، وتجلِّيه عليه بأسمائِه الحُسنى –والعبدُ مع هذا كثيرُ التَّقصيرِ مع هذا الرَّبِّ الجليلِ الكبيرِ، يظلِمُ نفسَه ويجني عليها– أوجَب له هذا الحَياءُ التَّوقِّيَ من الجرائمِ، والقيامَ بالواجِباتِ والمُستحبَّاتِ ". (بهجة قلوب الأبرار ص: ١٧٩).

– ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عُمَرَ–رَضِيَ اللهُ عنهما–*** **أنَّ النَّبيَّ ﷺ مرَّ على رجُلٍ، وهو يعاتِبُ أخاه في الحَياءِ، يقولُ: إنَّك لتستحيي حتَّى كأنَّه يقولُ: قد أضَرَّ بك، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: دَعْه؛ فإنَّ الحَياءَ من الإيمانِ ".**

– ***وفي رواية:*** **" أن النبي ﷺ مرّ على رجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ:" دعه فإن الحياء من الإيمان ".**

وهذا رد على الذين يقولون إن الحياء أو الخِشا في الرجال عيب.

وقد ذكر النووي–رحمه الله– في شرح هذا الحديث قوله: **" يعظ أخاه في الحياء"** أي ينهاه عنه، ويقبح له فعله، ويزجره عن كثرته فنهاه النبي ﷺ عن ذلك، فقال: دعه فإن الحياء من الإيمان.

وقال ابنُ بطَّالٍ–رحمه الله–: " معناه: أنَّ الحَياءَ من أسبابِ الإيمانِ وأخلاقِ أهلِه؛ وذلك أنَّه لَمَّا كان الحَياءُ يمنَعُ من الفواحِشِ، ويحمِلُ على الصَّبرِ والخيرِ، كما يمنَعُ الإيمانُ صاحِبَه من الفُجورِ، ويقيِّدُه عن المعاصي، ويحمِلُه على الطَّاعةِ؛ صار كالإيمانِ لمساواتِه له في ذلك، وإن كان الحَياءُ غريزةً، والإيمانُ فِعلُ المؤمِنِ، فاشتبَها من هذه الجِهةِ ". (شرح صحيح البخاري لابن بطال:٩/٢٩٨).

– ***وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** **" الحياءُ والعِيُّ[١] شُعبتانُ من الإيمانِ، والبَذاءُ والبَيانُ[٢] شُعبتانِ من النِّفاقِ ".** (صحيح الجامع: ٣٢٠١)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ النَّبيُّ ﷺ:" الحياءُ"، والمرادُ به هنا: أن يقومَ العبدُ بالواجباتِ والفرائضِ، ولا يفعَلُ المحرَّماتِ، **"والعِيُّ"**، أي: السُّكوتُ عن الكلامِ، والمرادُ هنا التَّحرُّزُ عن كلِّ قولٍ فيه إثمٌ، **" شُعبَتانِ مِن الإيمانِ"**، أي: الحياءُ والعيُّ مِن عَلاماتِ الإيمانِ وآثارِه. **" والبَذاءُ"**، أي: الفُحشُ في الكلامِ **"والبيانُ"**، أي: فصاحةُ اللِّسانِ، والمرادُ هنا: ما فيه إثمٌ مِن هجاءٍ أو مدحٍ بالباطلِ، وقيل: إظهارُ الفَصاحةِ الزَّائدةِ من التَّعمُّقِ والتَّكلُّفِ في النُّطقِ للتَّقدُّمِ على النَّاسِ **"شُعبَتانِ مِن النِّفاقِ"**، أي: البَذاءُ والبيانُ مِن علاماتِ النِّفاقِ وآثارِه.

---

١ ـ العي: قلة الكلام، أو سكوت اللسان خشية الوقوع فيما لا يحل.
٢ ـ البيان: فصاحته في غير الحق، أو هو كثرة الكلام والفصاحة فيه من مدح أو غيره فيما لا يرضي الله.

– ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** " **الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء[1] من الجفاء، والجفاء في النار** ".

قال محمد بن عبد الله البغدادي:

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه فلا خير في وجهه إذا قلَّ ماؤه

حيـاؤك فاحفظـــه عليك إنما يدل على وجه الكريم حياؤه

- **فالحياء ليس فقط من الإيمان ولكنه قرين الإيمان:**

فقد أخرج الحاكم من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " **إن الحياء والإيمان قُرنا جميعًا، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر** ". (صحيح الجامع:١٦٠٣)

وقالوا قديمًا: الحياء نظام الحياة فإذا انحل النظام ذهب ما فيه

وصدق وهب بن منبه–رحمه الله– حيث قال: " الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء ".

٢- *الحياء فطرة الله التي خصَّ بها الإنسان دون غيره:*

فمن نعم الله على الإنسان أن خصه بهذا الخلق دون سائر الحيوانات والمخلوقات، فإن البهيمة لعدم وجود الحياء عندها فإنها إذا اشتهت شيئًا تركبه، ولا تبالي إن أرادت البهيمة أن تقضي حاجتها في الطريق فتقضيها ولا تستحي، أما الإنسان فقد زيَّنه الله بزينة الحياء ليمنعه من فعل القبيح.

قال المناوي–رحمه الله–: " ومما جبل عليه الإنسان الحياء من النفس، ومن النفوس كلها، كالحياء من كشف العورة، والجماع بين الناس، وهذه هي فطرة الله، **قال تعالى:** ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (الروم:٣٠).

فالحياء من سُنن الفطرة التي خلقها الله وفطرها في العباد، حتى قبل ظهور الإسلام، ولقد كانت العرب أحسن الأمم أخلاقا، وكان الحياء من هذه الأخلاق التي كانت معروفة ومشهورة عن العرب وهذا هو أبو سفيان سأله هرقل، عن أقرب الناس نسبًا لنبينا ﷺ؟ ***فأجابه أبو سفيان كما في صحيح البخاري قائلًا:*** أنا أقربهم له نسبًا، فأمر هرقل أن يدنو أبو سفيان وأصحابه منه، ثم قال لترجمانه: قل لهم إني سائل هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان: فوالله لولا الحياء من أن يأثروا عليّ كذبًا لكذبت عليه.

فمَن لا حياء له، فليعلم أن فطرته مطموسة وقلبه ميت

---

١ ـ البذاء: إظهار الفحش من القول

٣- الحياء خلق فاضل يكسو المرء وقاراً:

قال الحسن–رحمه الله– :" أربع مَن كُنَّ فيه كان كاملًا، ومن تعلَّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده ".

فمن رزق الحياء فقد رزق الخير الكبير، فالرجل الحيي يتخوَّف على مكارمه ومحامده أن يضيع بهاؤها وينطفئ سناؤها، والرجل الحيي يجود بإراقة دمه على إراقة ماء وجهه، ويكفي الحياء فخرًا كونه على الخير دليلًا: إذ مبدأ الحياء انكسار وانقباض يلحق الإنسان مخافة نسبته إلى القبيح، بل يكسب الحياء الإنسان جملة من الخصال الحميدة؛ كالإيمان، والاستقامة، والعفة، وغض البصر، وحفظ الفرج، ودوام المراقبة..... إلخ

فالحياء خير زينة يتزين بها الإنسان:

وقد قال النبي ﷺ فيما رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: **" ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلا زانه ".** (صحيح الجامع:٥٦٥٥)

وكما قيل:" الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكنون في الوعاء ".

٤- الحياء أصل لكل خير:

أخرج الإمام مسلم من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: **" الحياء خير كله ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: **" الحَياءُ لا يأتي إلَّا بخيرٍ، فقال بشير بن كعب: مكتوب في الحكمة أن منه وقارًا ومنه سكينة، فقال عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ، وتحدثني عن صحفك ".**

– ***وقال ابن شهاب–رحمه الله–:*** دعوا السنة تمضي ولا تعرضوا لها بالرأي.

– ***قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–:***" وإنما غضب عمران بن حصين لأن الحجة في سنة رسول الله ﷺ لا فيما يروى عن كتب الحكمة؛ لأنه لا يدري ما في حقيقتها ولا يعرف صدقها ".

– ***وقال ابنُ حَجَرٍ أيضًا–رحمه الله–:***" إذا صار الحَياءُ عادةً، وتخلَّق به صاحِبُه، يكونُ سَبَبًا يجلِبُ الخيرَ إليه، فيكونُ منه الخيرُ بالذَّاتِ والسَّبَبِ ". (فتح الباري:١٠/٥٢٢).

– ***وقال ابنُ بطَّالٍ–رحمه الله–:***" معناه: أنَّ من استحيا من النَّاسِ أن يرَوه يأتي الفُجورَ ويرتَكِبُ المحارِمَ، فذلك داعيةٌ له إلى أن يكونَ أشَدَّ حَياءً من رَبِّه وخالقِه، ومن استحيا من رَبِّه فإنَّ حَياءَه زاجِرٌ له عن تضييعِ فرائِضِه وركوبِ معاصيه؛ لأنَّ كُلَّ ذي فِطرةٍ صحيحةٍ يعلَمُ أنَّ اللهَ تعالى النَّافِعُ له والضَّارُّ والرَّزَّاقُ والمُحيي والمُميتُ، فإذا عَلِمَ ذلك فينبغي له أن يستحييَ منه عزَّ وجَلَّ". (شرح صحيح البخاري:٩/٢٩٧)

– *وقال ابنُ رَجَبٍ –رحمه الله–:* وقولِه ﷺ:" **الحَياءُ لا يأتي إلَّا بخيرٍ**": وذلك لأنَّه يكُفُّ عن ارتكابِ القبائحِ ودناءةِ الأخلاقِ، ويحُثُّ على استعمالِ مكارِمِ الأخلاقِ ومعاليها ". (جامع العلوم والحكم:١/٥٠١).

وقالوا قديمًا: " كفى بالحياء على الخير دليلا، وعن السلامة مخبرًا، ومن الذم مجيرًا ".

فالحَياءُ فضيلةٌ من فضائِلِ الفِطرةِ، وهو مادَّةُ الخيرِ والفضيلةِ، وبهذا وصَفه النَّبيُّ ﷺ **كما مر بنا في حديث عِمرانَ بنِ حُصَينٍ ﷺ وفيه:" الحَياءُ خيرٌ كُلُّه ".**

ثانياً: فضل الحياء من أقوالِ السَّلَفِ والعلَماءِ[1]

١- *قال الزُّبَيرُ بنُ العوام ﷺ: قال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ ﷺ وهو يخطُبُ النَّاسَ:* " **يا معشرَ المُسلِمين، استحيوا من اللهِ؛ فوالذي نفسي بيدِه إنِّي لأظَلُّ حين أذهبُ إلى الغائِطِ في الفضاءِ متقَنِّعًا بثوبي؛ استِحياءً من رَبِّي عزَّ وجلَّ** ". (أخرجه ابن المبارك في الزهد والرقائق:٣١٦).

٢- *وقال سلمانُ ﷺ:* " **إنَّ اللهَ تعالى إذا أراد بعبدٍ شَرًّا أو هَلَكةً نزَع منه الحَياءَ، فلم تَلْقَه إلَّا مَقيتًا مُمقَّتًا، فإذا كان مَقيتًا مُمقَّتًا نُزِعَت منه الرَّحمةُ فلم تَلْقَه إلَّا فَظًّا غليظًا، فإذا كان كذلك نُزِعَت منه الأمانةُ فلم تَلْقَه إلَّا خائنًا مخوَّنًا، فإذا كان كذلك نُزِعَت رِبقةُ الإسلامِ من عُنُقِه؛ فكان لعينًا مُلَعَّنًا** ".
(حلية الأولياء لأبي نعيم:١/ ٢٠٤).

٣- *وقال أحمدُ بنُ حَنبَلٍ –رحمه الله–:* " إذا نُزِع الحَياءُ من الإنسانِ نُزِع منه الخيرُ ".
(مسائل الإمام أحمد – رواية أبي داود ص: ٣٧٩).

٤- *وقال طاووسٌ –رحمه الله–:* " الإيمانُ عُريانٌ، ولِباسُه التَّقوى، وزينتُه الحَياءُ، ومالُه الفِقهُ ".
(سير أعلام النبلاء للذهبي:٤/٥٥٠).

٥- *وقال الماوَرْديُّ –رحمه الله–:* " ليس لمَن سُلِب الحَياءَ صادٌّ عن قبيحٍ، ولا زاجِرٌ عن محظورٍ؛ فهو يُقدِمُ على ما يشاءُ، ويأتي ما يهوى ". (أدب الدنيا والدين ص: ٢٤٧).

٦- *وقال ابنُ حبَّانَ –رحمه الله–:* " الحَياءُ من الإيمانِ، والمؤمنُ في الجنَّةِ، والبَذاءُ من الجَفاءِ، والجافي في النَّارِ إلَّا أن يتفضَّلَ اللهُ عليه برحمتِه فيُخَلِّصَه منه، فإذا لزِمَ المرءُ الحَياءَ كانت أسبابُ الخيرِ منه موجودةً، كما أنَّ الوَقِحَ إذا لزِمَ البذاءَ كان وجودُ الخيرِ منه معدومًا، وتواتُرُ الشَّرِّ منه موجودًا؛ لأنَّ الحَياءَ هو الحائِلُ بَينَ المرءِ وبَينَ المزجوراتِ كُلِّها، فبقوَّةِ الحَياءِ يَضعُفُ ارتكابُه إيَّاها، وبضَعفِ الحَياءِ تَقْوى مباشرتُه إيَّاها ". (روضة العقلاء ص: ٥٧).

١ ـ موسوعة الأخلاق والسلوك- الدرر السنية.

– ***وقال أيضًا:*** " إنَّ المرءَ إذا اشتَدَّ حياؤه صان عِرضَه، ودَفَن مساويَه، ونَشَر محاسِنَه، ومن ذهب حياؤه ذهَب سرورُه، ومن ذهَب سرورُه هان على النَّاسِ ومُقِتَ، ومَن مُقِت أوذِيَ، ومن أوذِيَ حَزِن، ومَن حَزِن فقَدَ عَقلَه، ومن أصيبَ في عَقلِه كان أكثَرُ قولِه عليه لا له، ولا دواءَ لِمن لا حَياءَ له ".

(روضة العقلاء ص: ٨٢).

٧– ***وقال أبو عُبَيدَةَ النَّاجي–رحمه الله–:*** سمِعتُ الحسَنَ يقولُ:" الحَياءُ والتَّكرُّمُ خَصلتانِ من خِصالِ الخيرِ، لم يكونا في عبدٍ إلَّا رفَعه اللهُ عزَّ وجَلَّ بهما ". **(مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص: ٤٣).**

٨– ***وقال الجُنَيدُ–رحمه الله–:*** " الحَياءُ: رؤيةُ الآلاءِ ورؤيةُ التَّقصيرِ، فيتولَّدُ بينهما حالةٌ تسمَّى الحَياءَ، وحقيقتُه: خُلُقٌ يَبعَثُ على تَركِ القبائحِ، ويمنَعُ من التَّفريطِ في حقِّ صاحِبِ الحَقِّ ".

(مدارج السالكين لابن القيم:٢/٢٤٩).

٩– ***وقال الفُضَيلُ بنُ عِياضٍ–رحمه الله–:*** " خمسٌ من علاماتِ الشَّقاءِ: القَسوةُ في القلبِ، وجمودُ العينِ، وقِلَّةُ الحَياءِ، والرَّغبةُ في الدُّنيا، وطولُ الأمَلِ ". **(شعب الإيمان للبيهقي:١٠/١٨٢).**

١٠– ***وقال ابنُ أبي الدُّنيا–رحمه الله–:*** " قيل لبَعضِ الحُكَماءِ: ما أنفَعُ الحَياءِ؟ قال: أن تستحيَ أن تسألَه ما تحِبُّ، وتأتي ما يَكرَهُ ". **(التوبة لابن أبي الدنيا ص: ٩١).**

١١– ***وقال العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ–رحمه الله–:*** " لا يخفى ما في الحَياءِ من الحَثِّ على كُلِّ حَسَنٍ، والزَّجرِ عن كُلِّ قبيحٍ ". **(شجرة المعارف والأحوال ص: ٩٣).**

١٢– ***وقال ربيطُ بني إسرائيلَ–رحمه الله–:*** " زَينُ المرأةِ الحَياءُ، وزَينُ الحكيمِ الصَّمتُ ".

(الصمت لابن أبي الدنيا ص: ٢٦٣).

١٣– ***وقال ابنُ عطاءٍ–رحمه الله–:*** " العِلمُ الأكبَرُ: الهيبةُ والحَياءُ؛ فإذا ذهَبَت الهيبةُ والحَياءُ، لم يَبْقَ فيه خيرٌ ". **(الرسالة القشيرية للقشيري:٢/٣٦٧).**

١٤– ***وقال ذو النُّونِ المِصريُّ–رحمه الله–:*** " الحَياءُ وجودُ الهَيبةِ في القَلبِ، مع وَحشةِ ما سبَق منك إلى رَبِّك تعالى ". **(الرسالة القشيرية للقشيري:٢/٣٦٧).**

١٥– ***وقال أبو عُثمانَ–رحمه الله–:*** " من تكلَّم في الحَياءِ ولا يستحي من اللهِ عزَّ وجَلَّ فيما يتكَلَّمُ به، فهو مُستدرَجٌ ". **(الرسالة القشيرية للقشيري:٢/٣٦٨).**

١٦– ***وقال الجريريُّ–رحمه الله–:*** " تعامَل القَرنُ الأوَّلُ من النَّاسِ فيما بينهم بالدِّينِ، حتى رقَّ الدِّينُ، ثمَّ تعامَل القَرنُ الثَّاني بالوفاءِ حتى ذهب الوفاءُ، ثمَّ تعامَل القَرنُ الثَّالثُ بالمروءةِ حتى ذهبت المروءةُ، ثمَّ تعامَل القَرنُ الرَّابعُ بالحَياءِ حتى ذهب الحَياءُ، ثمَّ صار النَّاسُ يتعاملون بالرَّغبةِ والرَّهبةِ ".

(الرسالة القشيرية للقشيري:٢/٣٦٨).

١٧ – ***وقال ابنُ القَيِّمِ–رحمه الله–:*** " على حَسَبِ حياةِ القَلبِ يكونُ فيه قوَّةُ خُلُقِ الحَياءِ، وقِلَّةُ الحَياءِ من مَوتِ القَلبِ والرُّوحِ، فكلَّما كان القلبُ أحيى كان الحَياءُ أتمَّ ". (مدارج السالكين:٢/٢٤٨).

– ***وقال أيضًا:*** " خُلُقُ الحَياءِ من أفضَلِ الأخلاقِ وأجَلِّها وأعظَمِها قَدْرًا وأكثَرِها نفعًا، بل هو خاصَّةُ الإنسانيَّةِ، فمَن لا حَياءَ فيه فليس معه من الإنسانيَّةِ إلَّا اللَّحمُ والدَّمُ وصورتُهما الظَّاهِرةُ، كما أنَّه ليس معه من الخيرِ شَيءٌ ". (مفتاح دار السعادة:١/٢٧٧ بتصرُّفٍ يسيرٍ).

وأخيراً: لابد أن نعلم جميعا أن ضياع الحياء ضياع للفرد وللأمم والشعوب والمجتمعات.

ففي سنن ابن ماجه من حديث عبد الله بن عباس–رضي الله عنهما–قال: قال رسول الله ﷺ:

" **إنَّ لِكُلِّ دينٍ خُلُقًا، وإنَّ خُلُقَ الإسلامِ الحياءُ** ". (صحيح ابن ماجه: ٣٣٩٠) (صحيح الجامع:٢١٤٩)

والحياءُ يَختَصُّ بأهلِ الإسلامِ؛ لأنَّه مُتمِّمٌ لِمكارِمِ الأخلاقِ، وبالحياءِ يَتِمُّ قِوامُ الدِّينِ وجَمالُه، ولَمَّا كان الإسلامُ أشرَفَ الأديانِ أعْطاه اللهُ أسنَى الأخلاقِ وأشرَفَها وهو الحَياءُ.

وتقول عائشة–رضي الله عنها –: " **الحياء رأس مكارم الأخلاق** ".

فإذا ضاع الحياء ضاعت الأخلاق، ومن المعلوم عند ذوي الألباب أنه لا بقاء لأمة لا أخلاق لها

فقد قال الشاعر:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فإذا نزع الحياء من المجتمع، فقد شرب أفراده كأس الشيطان حتى الثمالة، وغرقوا في مستنقع الرذيلة دون رادع من خلق ودين، فتعم في أرجائه الفوضى ويسود فيه الفساد وتفشو الإباحية، فيصير المجتمع متحررا من الروابط الإيمانية والقيود الإسلامية.

– ***وصدق النبي ﷺ إذ يقول–كما مر بنا–:*** " **الحياءُ والعَيُّ شُعبتانُ من الإيمانِ، والبَذاءةُ والبَيانُ شُعبتانِ من النِّفاقِ** ". (رواه الترمذي من حديث ابن عمر–رضي الله عنهما–)

– ***ومر بنا أيضًا قول النبي ﷺ:*** " **ما كان الفحش في شيء قط إلا شانه، ولا كان الحياء في شيء إلا زانه** ". (رواه الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك)

قال المناوي–رحمه الله–: وفيه إشارة إلى أن الأخلاق الرذيلة مفتاح كل شرٍّ بل هي الشر كله، وكذلك الأخلاق الحسنة مفتاح للخير.

يقول ابن القيم –رحمه الله– كما في" مفتاح دار السعادة ص ٢٧٧": " وخلق الحياء من أفضل الأخلاق وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، فمَن لا حياء فيه ليس معه من الإنسانية إلا اللحم والدم، وليس معه من الخير شيء ". اهـ

ولولا هذا الخلق (خلق الحياء): لم يُقْرَ ضيف، ولم يُوفَ بوعد، ولم تُؤدَ أمانة، ولم تقضَ لأحد حاجة، ولا تحرَّى الرجل الجميل فآثره، والقبيح فتجنَّبه، ولا ستر عورة، ولا امتنع عن فاحشةٍ، وكثير من الناس لولا الحياء لم يؤدِ شيء من الأمور المفترضة عليه، ولم يرع لمخلوق حقًا، ولم يصل له رحمًا، ولا بر له والدًا.

مجتمع هذا حال أفراده **فكيف سيكون حاله...؟** والسبب قلة الحياء.

وقد قال بعضهم: ورب قبيحة ما حالَ بيني وبين ركوبها إلا الحياء

إذا رُزق الفتى وجهًا وقاحًا تقلب في الأمور كما يشاء

كيف نكتسب خلق الحياء ونقويه في قلوبنا؟

بداية.. ينبغي **أن نعلم** أن الإنسان قابل أن يتغير إلى الأحسن دائمًا، **وإلا قال الله ﷻ :** ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١)، ولولا أن الصفات تتغيَّر لما أرسل الله الرسل، ولما أرسل رسوله ليتمِّم مكارم الأخلاق، **ومعنى هذا:** أن الأخلاق من الممكن أن تتغير إلى الأفضل وتتغيَّر الطباع إلى الأفضل، **ولذلك قال ربنا ﷻ:** ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ (الشمس:٩،١٠)

ويقول النبي ﷺ: "إنما العلم بالتَّعلُّم، والحلم بالتَّحلُّم، ومَن يتحرى الخير يعطه، ومَن يتوق الشر يوقه"

إذن لابد أن تجاهد نفسك حتى تكتسب هذه الصفات بالنسبة لخلق الحياء، وذلك عن طريق:

أولا: صدق اللجوء إلى الله:

وذلك في طلب التحلِّي بهذا الخلق، والإخلاص في صدق الطلب من الله، لأنه إذا عُدم الإخلاص فلا خلاص **ولتتذكر قوله تعالى:** ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل: ٥٣)

ثانيا: مراقبة الله:

والمراقبة كما عرفها الجنيد –***رحمه الله***– **قال:** المراقبة علم العبد بقرب الرب.

فيتولد الحياء من علم العبد بنظر الحق ﷻ إليه، فيحمله ذلك على تَحمُّل المجاهدة، ثم يحمله ذلك على استقباح الجناية، ثم يحمله على احتمال أعباء الطاعة.

وهذه المراقبة لا تكون إلا بالتعبُّد بأسماء الله الحسنى والتفكُّر فيها، فلو استحضر الإنسان منا أسماء الله: كالشهيد والرقيب والعليم والسميع والبصير والمحيط والحفيظ؛ لراقب الله واستحي من معصيته.

قال حاتم الأصم –***رحمه الله***–: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلَّمت فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ فاذكر علم الله فيك.

ثالثا: تقوية الإيمان في القلب:

وذلك لأن الحياء ثمرة من ثمرات الإيمان، وزيادة الإيمان عن طريق المواظبة على العبادات المفروضة والمندوبة.

– كالصلاة التي قال الله تعالى في شأنها: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت: ٤٥)

أخرج الإمام أحمد وابن حبان وصححه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قيل له: **إن فلانًا يصلِّي الليل كله فإذا أصبح سرق، فقال ﷺ:" سينهاه ما تقول " أو قال: " ستمنعه صلاته ".**

– وكالزكاة التي قال الله تعالى فيها: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ (التوبة:١٠٣)

رابعا: إدمان مطالعة فضائل الحياء:

فمطالعة وترديد فضائل الحياء على القلب، وجمع الهمَّة على تحصيل أعلى درجات الحياء، والسعي الحثيث في التحلِّي به، يورث الحياء في القلب.

خامسا: المواظبة على تكلُّف الحياء:

فعندما يتكلف الإنسان منا الحياء مرة بعد مرة فإن النفس تألفه وتعتاده ويصير لها طبعا وسجيةً.

وهذا يستلزم التجمُّل بالصبر كالمريض الذي يصبر على تعاطي الدواء المر، ***وصدق النبي ﷺ حيث قال فيما أخرجه ابن ماجه بسند صحيح من حديث معاوية:*** **" الخير عادة [1] والشر لجاجة [2] ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين ".** (الصحيحة:٦٥١)

سادسا: مخالطة الصالحين ورؤيتهم والسماع منهم والاستمداد من حيائهم:

كالنظر إلى حياء النبي ﷺ المثل الأعلى للبشرية ومطالعة سيرته العطرة وشمائله الكريمة، واستحضار حياء الصحابة وسيرتهم، وحياء السلف الصالح – رضي الله عنهم أجمعين– .

وكذلك مجالسة الصالحين **حيث قال بعضهم:" أحي حياءك بمجالسة مَن يُسْتَحْيَا منه ".**

وقال مجاهِدٌ–رحمه الله–: " إنَّ المُسلِمَ لو لم يُصِبْ من أخيه إلَّا أنَّ حَياءَه منه يمنَعُه من المعاصي، لكفاه ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ٢٨٠).

سابعا: اعتزال أصحاب السوء والبيئة الفاسدة:

حيث ينبغي البعد عن أصحاب السوء والتنزه عن معاشرة قليلي الحياء، والبعد عن البيئة الفاسدة والتي تصد عن الخلق الحسن، والبحث والجلوس مع الصحبة الصالحة.

وفي الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم، في قصة قاتل المائة، أن العالِم قال له: **" ومَن يحول بينك وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها ناسًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء ".**

١ـ الخير عادة: أي أن المؤمن الثابت ينشرح صدره للخير، فيصير له عادة.

٢ـ الشر لجاجة: أما الشر فلا ينشرح له صدره، فلا يدخل في قلبه إلا بلجاجة الشيطان، واللجاجة: الخصومة، والنفس الأمارة بالسوء.

ثامنا: البعد عن الذنوب والإمساك عما تقتضيه قلة الحياء:

فالإمساك عما تقتضيه قلة الحياء من أفعال وأقوال، كالكلام الفاحش والبذيء، وذلك مراغمة وإغاظة للشيطان الذي يزين هذه الأفعال ويغرى بها. والابتعاد عن الذنوب لأنه من عقوبة الذنوب.

كما يقول ابن القيم–رحمه الله– في كتابه "الداء والدواء": ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلوب، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب كل خير بأجمعه ".

والمقصود: إن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية، حتى إنه ربما لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطِّلاعهم عليه، بل كثير منهم يخبر هو عن حاله وقبح ما يفعله.

والحامل على ذلك: انسلاخه من الحياء.

وبين الذنوب وقلة الحياء تلازم، وكل منهما يستدعي الآخر ويطلبه حثيثًا، ومَن استحي من الله عند معصيته استحي الله من عقوبته يوم يلقاه. ومَن لم يستحِ من الله عند معصيته لم يستح الله من عقوبته يوم يلقاه.

وأخيراً: دعوة من القلب:

اعلموا أحبتي في الله أنه لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها؟

فلنتمسك بديننا وحيائنا وأخلاق نبينا ﷺ وهدي سلفنا، وليجتهد كل منا على تجميل نفسه بالأخلاق الفاضلة الكريمة، فهي من تمام وكمال الإيمان.

فقد أخرج الإمام أحمد وصحَّحه الألباني أن النبي ﷺ قال: " **أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم أخلاقا** ".

وقال أيضًا كما عند أبى داود: " **أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن** ".

فهيا. هيا... لنتخلَّق بالأخلاق الحميدة، وعلى رأسها الحياء: الذي هو أساس كل خير وفقده أساس كل شر.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " **مَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه** ".

وقال الفضيل–رحمه الله–خمس من علامات الشقاء: " قسوة القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل ".

فإذا مات القلب فلا تتعجب مما تراه وتسمعه: من تبرج وسفور، ومسابقات لملكات الجمال تظهر فيها العورات ولبس المايوهات، ومن مسلسلات وأفلام تظهر فيها القُبُلات، ومن رشوة وخنا، وفجور وزنا، وسرقة واغتصاب.

فهم لم يستحوا من الله، فكيف يستحون من الخلق؟؟؟

ثالثاً: فضل الاستقامة:

مقدمة:

غاية كل إنسان منا هي: الفوز بالجنة، والنجاة من النار، فكل نعيم دون الجنة سراب، وكل عذاب دون النار عافية، والفوز بالجنة والنجاة من النار لا يكون إلا بفعل المأمور واجتناب المحظور، ولا يكتفى الإنسان بذلك بل يستمر على هذا إلى أن يلقى الله تعالى؛ وهذا ما يعرف بالاستقامة. فلا نجاة إلا لمن استقام على طاعة الله، واجتنب ما نهى عنه، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾

(البقرة:١٣٢)

قال ابن كثير–رحمه الله– في تفسير هذه الآية: " أي أحسنوا في حال الحياة والزموا هذه ليرزقكم الله الوفاة عليه، فإن المرء يموت غالبًا على ما كان عليه، ويبعث على ما مات عليه وقد أجرى الكريم عادته بأن من قصد الخير وفق له ويسر عليه، ومن نوى صالحا ثبت عليه ". اهـ

فعلى الإنسان أن يفعل الصالحات، ويبتعد عن المنهيات، ويقيم على هذه حتى الممات، ويحذر من الانتكاس.

فضائل وثمرات الاستقامة كثيره لا نستطيع أن نحصيها في هذا المقام لكن من أبرز هذه الفضائل:

١ - العمل بوصية رب العالمين وبوصية الرسول الأمين ﷺ وكفى بهذا فضلًا:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

(الانعام: ١٥٣)

وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: " خط لنا رسول الله ﷺ خطًا ثم قال: هذا سبيل الله، – وفي رواية:" هذا سبيل الله مستقيما، ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: هذه سبل متفرقة علي كل سبيل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

قال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:١١٢)

فهذه وصية رب العالمين للنبي الأمين ﷺ وإذا كان هذا الخطاب للنبي ﷺ فهو يشمل النبي ﷺ وأمته؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه وأمته بالاستقامة:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ قال: قلت يا رسول الله! قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك – وفي رواية:" غيرك". فقال ﷺ:" قل آمنت بالله ثم استقم ".

وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " استقيموا ونعمَّا إن استقمتم، وخير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ". (صحيح الجامع: ٩٥٣)

ويدل على هذا أيضًا ما أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه من حديث ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" استقيموا ولن تحصوا[1] واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن ".

(صحيح الجامع:٩٥٢)

وأيضًا من وصايا النبي ﷺ لأمته بالاستقامة:

ما ذكره رب العالمين على لسان النبي الأمين ﷺ حيث قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ (فصلت:٦)

٢- وأيضًا من فضائل الاستقامة: الحياة الطيبة:

فالحياة الطيبة لا تكون إلا لمن استقام على طاعة الرحمن وابتعد عما نهاه عنه **قال تعالى:**

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٩٧)

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:٢٤)

فالحياة الحقيقية هي في طاعة رب البرية ومن آثر الغي بعد الرشاد فهو ميت وإن كان يمشي بين الأحياء ***يقول النبي*** ﷺ:" مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت ".

(أخرجه البخاري من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ)

فالسعادة كل السعادة في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والشقاء كل الشقاء في البعد عن شرع رب العالمين، ومعصية النبي الأمين ﷺ، **قال تعالى:** ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (طه ١٢٣، ١٢٤)

١- ولن تحصوا: قيل: تحصوا ثواب هذه الاستقامة فلا يعلم ثوابها إلا الله عز وجل، وقيل: لن تطيقوا الاستقامة إلا بتوفيق الله عز وجل وكرمه وجوده، ويدل على هذا المعنى قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} (العنكبوت:٩٦)

٣- حفظ الله للعبد في أهله وماله ودينه:

ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث ابن عباس-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال:

" احفظ الله يحفظك...".

فمن حفظ الله في أوامره ونواهيه حفظه الله في الدنيا والآخرة؛ فحفظه في نفسه، وماله، وولده، ودينه، وإيمانه.

يقول ابن رجب-رحمه الله- في" كتابه جامع العلوم والحكم ص٣٣١-٣٣٨:" **وقول النبي** ﷺ:" احفظ الله" يعني احفظ حدوده وحقوقه وأوامره ونواهيه وحفظ ذلك: هو الوقوف عند أوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده فلا يتجاوز ما أمر به وأذن فيه إلى ما نهى عنه. **وقول النبي** ﷺ:" يحفظك" وحفظ الله لعبده يدخل فيه نوعان: **أحدهما:** حفظه له في مصالح دنياه كحفظه في بدنه وولده وأهله وماله.

والنوع الثاني من الحفظ وهو أشرف النوعين: حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة، ومن الشهوات المحرمة، ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان.

اهـ بتصرف واختصار

٤- سعة الرزق:

قال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ (الجن:١٦)

ذكر ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية فقال: " وأن لو استقام الفاسقون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي كثيرًا، والمراد بذلك سعة الرزق **كقوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ (المائدة:٦٦) **وكقوله تعالى:** ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الأعراف:٩٦). اهـ بتصرف واختصار

فلو استقام الناس على أمر ربهم لانهمرت السماء بمائها وأخرجت الأرض بركاتها وعاش الناس في رغد من العيش.

٥- حسن الخاتمة:

فمن استقام على طاعة الرحمن ختمت له بخاتمة السعادة ورزقه الله الجنة والزيادة كيف لا؟ وهم الذين عملوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:١٠٢)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " لقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أن من عاش على شيء مات عليه، وأن من مات على شيء بُعث عليه ". اهـ

فرحمة الله على الرعيل الأول استقاموا على طاعة الله إلى آخر لحظات في حياتهم فرزقهم الله حسن الخاتمة.

- فها هو أبو بكر ابن أبي مريم-رحمه الله- يقول عنه يزيد ابن عبد ربه -رحمه الله- :" عدت أبا بكر ابن أبي مريم وهو في النزع فقلت له: رحمك الله لو جرعت جرعة ماء؟ فقال بيده: لا- وكان صائما- ثم جاء الليل فقال: أُذن؟ أي للمغرب؟ فقلتُ: نعم. فقترنا في فمه قطرة ماء ثم مات ".

- وانظر إلى عامر بن عبد الله -رحمه الله-لما نزل به الموت فكان في النزع الأخير فسمع المؤذن يؤذن للصلاة فقال: خذوا بيدي إلى المسجد فقيل له إنك عليل فقال: أسمع داعي الله ولا أجيب؟ فأخذوا بيده إلى المسجد، فدخل في صلاه المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات.

- وفي كتاب صفة الصفوة عن عبد العزيز بن أبي روّاد-رحمه الله- قال: خرج قوم حجاج إلى بيت الله ومعهم امرأة فلما دخلوا مكة قالت هذه المرأة أين بيت ربي؟ أين بيت ربي؟ قالوا لها:" الساعة تشاهديه، فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟ فخرجت تشتد وتقول:" بيت ربي، بيت ربي" حتى وضعت جبهتها على البيت فوالله ما فارقته إلا ميتة ".

وغير ذلك من النماذج التي استقامت على طاعة الله فكانت حسن الخاتمة.

- وصدق أبو محمد عبد الحق الإشبيلي-رحمه الله- حيث قال في كتابه العاقبة: " اعلم أن سوء الخاتمة – أعاذنا الله منها- لا تكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سُمع بهذا ولا عُلم به والحمد لله، وإنما تكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، فربما غلب عليه حتى ينزل به الموت قبل التوبة، فيصطلمه[١] الشيطان عند تلك الصدمة ويختطفه عند تلك الدهشة، أو يكون ممن كان مستقيمًا ثم يتغير عن حاله ويخرج عن سننه، ويخرج عن طريق الهداية ويسلك طريق الغواية فيكون ذلك سببٌ لسوء خاتمته وشؤم عاقبته ".

١- يصطلمه الشيطان: أي يستأصله عن دينه ويقطعه عنه.

ثم ذكر قصه تدل على هذا، فقال فيها: ويروي أنه كان بمصر رجل يلزم مسجدًا للأذان والصلاة، وعليه بهاء الطاعة وأنوار العبادة فرقى يومًا المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها فترك الأذان ونزل إليها ودخل الدار عليها فقالت له ما شأنك؟ وما تريد؟ قال: أريدك قالت: لماذا؟ قال: لقد سلبتني لبي وأخذتي مجامع قلبي، قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدًا، قال: أتزوجك. قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية وأبي لا يزوجني منك، قال: أتنصر. قالت: إن فعلت، أفعل. فتنصر الرجل ليتزوجها وأقام معها في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط منه فمات، ولم يظفر بها وفاته دينه[1].

نعوذ بالله من الخذلان ومن سوء العاقبة، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا على الإيمان إلى أن نلقاه

٦- البشرى الطيبة على فراش الموت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢)

– **وفي قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾: أي آمنوا بالله إيمانا صادقًا وأخلصوا العمل له ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته وثبتوا على ذلك حتى الممات.

– **ثم قال:** ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾: أي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت وتقول لهم: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أحوال القيامة وأمور الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتموه من أمر الدنيا: من ولد وأهل ومال فنحن نخلفكم فيه.

– ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾: أي أبشروا بجنه الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل، ***قال زيد بن أسلم –رحمه الله–:*** " يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين يبعث ".

– ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾: أي تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا أولياؤكم: أي قرناؤكم في الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة. نؤنس وحشتكم في القبور وعند النفخ في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم.

– ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾: أي مهما طلبتم وجدتم، وحضر لكم كما اخترتم.

١ـ ذكر هذه القصة أيضًا ابن القيم ـرحمه اللهـ في كتابه الداء والدواء.

– ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾: أي ضيافة وعطاء وإنعامًا من غفور لذنوبكم، رحيم رءوف حيث غفر وستر ورحم ولطف ". (مختصر تفسير ابن كثير:٤/١٠٠)

–فمن ثبت على طاعة الرحمن إلى الممات ثبته الله تعالى على فراش الموت بلا إله إلا الله، وثبته في القبر عند السؤال. **قال تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (ابراهيم:٢٧)

٧- الثبات على الصراط وسرعة المرور عليه:

يقول ابن القيم –رحمه الله– في التفسير القيم ص١٠٩: " من هُدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم الذي أرسل به رسله وأنزل به كتبه هُدي هناك إلى الصراط المستقيم الموصل إلى جنته دار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار ويكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذا الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، ولينظر العبد الشبهات والشهوات التي تعوقه عن هذا الصراط المستقيم فإنها الكلاليب التي بجنبتي ذاك الصراط تخطفه وتعوقه عن المرور عليه، فان كثرت هنا وقويت فكذلك هي هناك (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت:٤٦) .اهـ

– ***وقال سهل بن عبد الله التستري–رحمه الله–:*** " من دق الصراط عليه في الدنيا عرض عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق له في الآخرة. اهـ (حلية الأولياء لأبي نعيم:١٠/١٩٧)

– ***قال ابن رجب –رحمه الله– معلقا على قول سهل التستري:*** ومعنى هذا أن من ضيق على نفسه في الدنيا باتباع الأمر واجتناب النهي، وهو حقيقة الاستقامة على الصراط المستقيم في الدنيا كان جزاؤه أن يتسع له الصراط في الآخرة، ومن وسع على نفسه في الدنيا باتباع الشهوات المحرمة والشبهات المضلة حتى خرج عن الصراط المستقيم، ضاق عليه الصراط في الآخرة بحسب ذلك والله أعلم. اهـ

(التخويف من النار ص:٢٣٣)

٨- النجاة من النار:

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لا يَجْتَمِعانِ في النَّارِ اجْتِماعًا يَضُرُّ أحَدُهُما الآخَرَ، قيلَ: مَن هُمْ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: مُؤْمِنٌ قَتَلَ كافِرًا، ثُمَّ سَدَّدَ ".**

فهذا المؤمن الذي قتل الكافر وظل مستقيمًا على طاعة الله إلى الوفاة وهذا هو المقصود بالسداد في الحديث لا يجتمع هو وهذا الكافر في النار.

٩- وأخيرًا من ثمرات الاستقامة الفوز بالجنة:

ودخول الجنة هي غاية كل مؤمن ومؤمنة وفيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهذا النعيم السرمدي الأبدي لا يكون إلا لأهل الاستقامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف١٣،١٤)

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري ﷺ أنه قال: **جاء رجُلٌ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: دُلَّني على عملٍ أعمَلُهُ يُدْنيني مِنَ الجنَّةِ، ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ، قال: تعبُدُ اللهَ لا تُشرِكُ به شيئًا، وتُقيمُ الصَّلاةَ، وتُؤْتي الزكاةَ، وتَصِلُ رحِمَكَ، فلمَّا أَدْبَرَ، قال رسولُ اللهِ ﷺ: إنْ تمسَّكَ بما أُمِرَ به دخَلَ الجنَّةَ"**

رابعاً: فضل الأمانة:

قال القاضي حُسَيْنٌ المَهديُّ: " إذا طلَبْتَ الخيرَ فاطْلُبْه في أداءِ الأمانةِ، وإذا عمِلْتَ البِرَّ فتحَرَّ فيه أداءَ الأمانةِ، وإذا أردتَ العِزَّ فالزَمْ في سُلوكِك الأمانةَ، وأدِّ في مسئوليَّتِك الأمانةَ، وتعامَلْ مع أهلِ الصِّدقِ والأمانةِ تَفُزْ بفَضلِ اللهِ ورِضوانِه، ومَن حافَظ على الأمانةِ سَلِمَ، ومن أدَّاها غَنِمَ ".

وقال أيضًا: " الأمانةُ من الأخلاقِ التي يتَّفِقُ النَّاسُ على أهمِّيَّتِها في الحياةِ؛ لأنَّها تعني أن يكونَ الإنسانُ أمينًا في جميعِ نواحي الحياةِ؛ في عبادتِه، وفي عَمَلِه، وفي حديثِه، وفي مجتَمَعِه، أمينًا في سلوكِه، أمينًا مع نفسِه؛ فالنُّفوسُ بفِطرتِها التي فطَرها اللهُ عليها تميلُ إلى تقديرِ الأمانةِ والأُمَناءِ ".

(صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال:١/ ٥١٥)

لذا فإن الأمانة من أبرز أخلاق الرسل:

فالأمانةُ وعَدَمُ الخيانةِ من صِفاتِ الأنبياءِ، وهذا إن دل فإنه يدل على مكانتها وعظيم فضلها.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ (آل عمران: ١٦١)، فنفى اللهُ عزَّ وجَلَّ بذلك أن يكونَ الغُلولُ والخيانةُ من صفاتِ أنبيائِه؛ لأنَّ ذلك جُرمٌ عظيمٌ، والأنبياءُ لا تأتي مِثلَه. **(جامع البيان للطبري:٦/ ٢٠٠)**.

فها هو نبيُّ الله هود عليه السلام: لَمَّا دعا قومَه وأبَوْا أنْ يستَجِيبوا لداعي الله واتَّهموه بالسَّفاهة والكذب؛ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ (الأعراف: ٦٧، ٦٨)

قال ابن كثيرٍ في "تفسيره:٢/٢١٥": وهذه الصِّفات التي يتَّصف بها الرسل (البلاغ والنُّصح والأمانة).

- **بل لقد جاء جميعُ الرسل وأخبروا قومَهم بأمانَتِهم في تبليغ الرسالة إليهم:**

فقال نبي الله نوح عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٧).

وقال نبيُّ الله هود عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٢٥).

وقال نبيُّ الله صالح عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٤٣).

وقال نبيُّ الله لوط عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٦٢).

وقال نبي الله شعيب عليه السلام **لقومه:** ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٧٨).

وقال نبيُّ الله موسى عليه السلام **لقومه:** ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الدخان: ١٨).

وقد قِيل في قوله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ (الشعراء: ١٠٧)؛ أي: لا يخون ولا يخدع ولا يغش، ولا يزيد شيئًا أو ينقص شيئًا ممَّا كُلِّفه من التَّبليغ.

لقد كان النبيُّ ﷺ يُلقَّب قبلَ البعثة بالصادق الأمين، وهل كان النبيُّ ﷺ لا يمتلكُ إلا هاتين الصِّفتين؟ بل كان النبيُّ ﷺ يجمعُ كلَّ الصفات الحسنة، ولكن لَمَّا كانت صفة الصِّدق وصفة الأمانة من أعظم الصِّفات البارزة فيه؛ لُقِّبَ النبيُّ ﷺ بالصادق الأمين، وكان الناس يَختارُونه لحفْظ وَدائعهم، ولَمَّا هاجَر ﷺ وكَّل عليَّ بن أبي طالبٍ بردِّ الودائع إلى أصحابها.

فالأمانة صفةٌ تَميَّز بها النبيُّ ﷺ ودعَا إليها.

١-أخرج البخاري ومسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عنهما- قال: أخبرني أبو سفيانَ أنَّ هِرَقْلَ قال له: سألتُك ماذا يأمُرُكم- يعني النَّبيَّ ﷺ- فزعَمْتَ أنَّه أمَركم بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ، والوَفاءِ بالعَهدِ وأداءِ الأمانةِ. قال: وهذه صِفةُ نبيٍّ.

٢- وأخرج الإمام أحمدُ عن أمِّ سلمة - رضِي الله عنها - في حديث هجرة الحبَشة، ومن كلام جعفرٍ في مُخاطَبة النجاشيِّ، فقال له: " أيُّها الملك، كُنَّا قومًا أهلَ جاهليَّة، نعبُد الأصنام، ونأكُل الميتَة، ونأتي الفواحِشَ، ونقطعُ الأرحام، ونُسِيءُ الجوار، يأكُل القويُّ منَّا الضعيف، فكُنَّا على ذلك حتى بعَث الله إلينا رسولًا منَّا، نعرفُ نسَبَهُ وصِدْقَهُ وأمانتَه وعَفافَه، فدعانا إلى الله، لنُوحِّدَهُ ونعبُدَه، ونخلع ما كُنَّا نعبدُ نحن وآباؤنا من دُونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصِدق الحديث وأداء الأمانة وصِلة الرَّحِم وحُسن الجوار، والكفِّ عن المَحارِم والدِّماء، ونَهانا عن الفَواحش، وقول الزُّور، وأكْل مال اليتيم، وقذْف المحصَنة، وأمَرَنا أنْ نعبُدَ الله وحدَه لا نشرك به شيئًا، وأمَرَنا بالصلاة والزَّكاةِ والصِّيامِ، قال: فعدَّد عليه أمُورَ الإسلام، فصَدَّقناهُ وآمَنَّا، واتَّبعناهُ على ما جَاءَ به...". **الحديث.**

٣- وأخرج الترمذيُّ والنسائيُّ عن عائشة -رضِي الله عنها- قالت: " كان على رسولِ الله ﷺ ثَوْبانِ قطريَّانِ غَلِيظانِ، فكان إذا قعَد فعرقَ، ثَقُلا عليه، فقَدِم بَزٌّ[1] من الشام لفلانٍ اليهوديِّ، فقلت: لو بَعَثْتَ إليه فاشتريت منه ثوبين إلى الميسرةِ، فأرسل إليه فقال: قد علمْتُ ما يريد، إنما يريدُ أنْ يذهب بمالي أو بدَراهمي، فقال رسول الله ﷺ: كَذَبَ؛ قد عَلِمَ أنِّي من أتقاهُم لله وآداهُمْ للأمانَة ".

(صحَّحه الألباني في "صحيح سنن الترمذي")

وكان ﷺ يقولُ عن نفسه: " أمَا والله إنِّي لأمينٌ في السَّماء وأمينٌ في الأرض ".

(الطبراني في "الكبير": ٢٣١/١)، (صحيح الجامع: ١٣٢٧)

وعند البخاري بلفظ: " ألا تأمَنُوني وأنا أمينُ مَن في السماءِ، يأتيني خبرُ السماء صباحًا ومساءً؟ ".

وقال تعالى عن جبريل عليه السلام أمينِ الوحي الذي ينزلُ بالوحي على أنبيائه: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

(الشعراء: ١٩٣).

قال ابن كثير- رحمه الله- في " تفسيره:٣٣٦/٣": وهو جبريل عليه السلام

وقال مجاهد: أي: نزَل به مَلَكٌ كريم أمين ذو مكانةٍ عند الله ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ يا محمد سالمًا من الدَّنس والزيادة والنقص.

١- البَزُّ: ضربٌ من الثِّياب. (انظر لسان العرب- بزز).

والأصل في الإنسان أنَّه أمين:

فالله ﷻ أنزَل الأمانةَ فوضَعَها في أصْل قُلوب الناس، ثم نزَلتِ الشَّرائع التي أنزَلَها الله في كتبه وجاءت بها رسلُه؛ لتُنمِّي هذا الأصلَ وتُزكِّيه.

ولكنَّ كثيرًا من الناس انحرَفَ عن هذا الأصل؛ إمَّا لظُلْمه أو جهلِه، فخانَ وضيَّع الأمانة التي حُمِّلَها، وهذا خِلافُ الأصل.

يقول محمد رشيد رضا في تفسيره "المنار:٥/١٧٦": الأصل أنْ يكون الناس أُمَناء يقومون بوازع الفِطرة والدِّين، والخيانةُ خِلافُ الأصل ". اهـ.

وممَّا يدلُّ على أنَّ الأمانة هي الأصل، وأنها مركوزةٌ في الفِطرة.

ما أخرَجَه البخاري ومسلمٌ عن حُذيفة بنِ اليمانِ ﷺ قال: "حدَّثَنا رسولُ الله ﷺ حديثين؛ رأيت أحدَهما، وأنا أنتظِرُ الآخَر: حَدَّثَنا أنَّ الأمانةَ نزلتْ في جَذْرِ[1] قُلوبِ الرِّجال، ثم عَلِموا من القُرآن، ثم عَلِموا من السُّنَّة، وحدَّثَنا عن رفعها، قال: ينامُ الرَّجلُ النومة فتُقبَضُ الأمانةُ من قلبه، فيَظلُّ أثَرُها مثل أثَر الوَكْت[2]، ثم ينامُ النومة فتُقبضُ، فيبقى أثرُها مثل المَجْل[3]، كجمرٍ دحْرجْتَه على رجْلِك فنَفِطَ[4] فتراه مُنْتَبِرًا[5] وليس فيه شيءٌ، فيُصبحُ الناس يَتبايَعُون، فلا يَكادُ أحدهم يُؤدِّي الأمانة، فيُقالُ: إنَّ في بَني فُلانٍ رجلًا أمينًا، ويُقال للرجل: ما أعقَلَهُ، وما أظرَفَهُ، وما أجلدهُ! وما في قلبه مثقَالُ حبَّة خَردلٍ من إيمانٍ، ويقول حُذَيفة: ولقد أتى زمانٌ وما أُبالي أيَّكم بَايعتُ، لئنْ كان مسلمًا رَدَّهُ عليَّ الإسلام، وإنْ كان نصرانيًّا رَدَّهُ عليَّ ساعيه، فأمَّا اليوم فما كنتُ أُبايعُ إلا فُلانًا وفُلانًا ".

– ***وفي رواية:*** " لَئِن كان مُسلِمًا ليرُدَّنَّه عليَّ دِينُه، ولئن كان نَصرانيًّا أو يَهوديًّا ليُرَدَّنَّه عليَّ ساعِيه، وأمَّا اليومَ فما كُنتُ لأبايِعَ منكم إلَّا فُلانًا وفُلانًا ".

– ***قيل:*** إنَّ الأمانة المقصودة في الحديث هي أمانةُ الهداية والمعرفة والإيمان بالله.

يقول القاضي ابن العربي–رحمه الله–: المرادُ بالأمانة في حديث حُذيفةَ: الإيمانُ، وتحقيقُ ذلك فيما ذكر من رَفْعِها: أنَّ الأعمال السيِّئة لا تزالُ تُضعِفُ الإيمان، حتى إذا تَناهَى الضعفُ لم يبقَ إلا أثرُ الإيمان– وهو التلفُّظ باللسان– والاعتقاد الضعيف في ظاهر القلب، فشبَّهه بالأثر ظاهر البدن، وكنى عن ضعف الإيمان بالنوم، وضرب مثلًا لزهوق الإيمان عن القلب حالًا بزهوق الحجر عن الرِّجْل حتى يقع بالأرض ". (فتح الباري:١٣/٤٠)

١ـ جَذْر: بكسر الجيم وبفتحها أي: الأصلُ من كلِّ شَيءٍ. (إكمال المعْلم بفوائد مسلم للقاضي عياض:١/٤٤٨)
٢ـ الوكت: الأثر في الشيء؛ كالنقطة من غير لونه.
٣ـ المجْل: هو التنفُّط الذي يصيرُ في اليدِ من العَمَلِ بفأسٍ أو نحوها، ويصيرُ كالقُبَّةِ فيه ماءٌ قليلٌ. (شرح النووي على مسلم:٢/١٦٩).
٤ـ فَنَفِطَ: أي: صار منتفطًا وهو المنتبر، يُقال: انتبر الجرح وانتفط: إذا ارتفع وَوَرِمَ. (يُنظَر فتح الباري لابن حجر:١٣/٣٩).
٥ـ مُنتبرًا: أي مرتفِعًا. (شرح النووي على مسلم:٢/١٦٩).

– وحمَل البعضُ الأمانةَ هنا على ظاهِرِ معناها التي هي العهودُ، وحمَلها البعضُ على الإيمانِ، والحقيقةُ أنَّه لا اختلافَ بَينَ مَن حَمَل الأمانةَ على ظاهِرِ معناها التي هي العهودُ، وبَينَ مَن حَمَلها على الإيمانِ؛ لأنَّ الإيمانَ الحقيقيَّ مُستلزِمٌ للأمانةِ التي هي العهودُ، وكذلك الأمانةُ مُستلزِمةٌ له؛ لأنَّ العهودَ شامِلةٌ لِما بَينَ العبادِ وبَينَ ربِّهم، ولِما يجري بينهم، والحديثُ وإن كان ظاهِرًا في معنى الأمانةِ التي هي العَهدُ؛ فإنَّ حُذَيفةَ ﷺ إنَّما ساقه لبيانِ فَقدِ الأمانةِ من الأمَّةِ، ورفعِها عنهم، فقولُه:" **ويُصبِحُ النَّاسُ يتبايعون... إلخ**"، وقولُه:" **وما أُبالي أيَّكم بايَعتُ... إلخ**"، وقولُه:" **فما كنتُ لأبايِعَ إلَّا فلانًا وفلانًا**"، كُلُّ هذا ظاهِرٌ في معناها الحقيقيِّ، لكِنَّه لا ينفي شمولَه للعَهدِ الذي بَينَ العبادِ وبَينَ ربِّهم، فيكونُ الخِلافُ في هذا لفظيًّا، والحاصِلُ أنَّ الأمانةَ هي كُلُّ العهودِ التي بَينَ العبادِ وبَينَ رَبِّهم وفيما بَينَهم، فدخل فيها الإيمانُ دُخولًا أوَّليًّا؛ ولذلك قال في الأخيرِ:" **وما في قَلبِه مِثقالُ حَبَّةٍ من خردَلٍ من إيمانٍ**"؛ إشارةً إلى فقدِها كُلِّيَّةً. (فتح الباري لابن حجر:١٣/ ٤٤)

إذا ضُيِّعت الأمانة فلا أمان:

ففي الحديث السابق بيَّن فيه النبيُّ ﷺ أنَّ الأمانة ستُقبَضُ من قُلوب الرجال، ولا يَبقَى إلا أثَرُها، وهذا أوَّل ما نفقدُه من الدِّين.

فلقد أخبر الرسولُ الأمين ﷺ فقال كما عند الطبراني من حديث شدَّاد بن أوس ﷺ: " **أوَّل ما تَفقِدون من دِينكم الأمانةُ** ". (صحيح الجامع: ٢٥٧٠)

وفي روايةٍ أخرى عند العجلوني في "كشف الخفاء" وعَزاه للحكيم الترمذي: " **أوَّلُ ما يُرفَع من الناس الأمانةُ، وآخِر ما يَبقَى من دِينهم الصَّلاة، ورُبَّ مُصَلٍّ لا خَلاقَ له عند الله تعالى** ".

(صحيح الجامع: ٢٥٧٥)

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول: " **لا يعجبنَّكم من الرجل طَنْطَنته-يعني: صلاته- ولكن مَن أدَّى الأمانة وكَفَّ عن أعراض الناس فهو الرَّجُل** ".

(السنن الكبرى للبيهقي:٦/٤٧٢) (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا ص:١٩٣)

وقال أيضًا ﷺ: " **لا تنظُروا إلى صِيام أحدٍ ولا صَلاته، ولكنِ انظُروا إلى صِدْق حَديثِه إذا حدَّث، وأمانته إذا اؤتمِن، وورَعِه إذا أَشْفَى** [1]". (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم:٣/ ٢٧).

١- أشفى: أشرف على الدنيا وأقبلت عليه.

الأمانة دليلٌ على إيمان العبد:

فقد أثنَى الله ﷻ في أكثر من آيةٍ على رعاية المؤمنين للأمانة، وفي هذا إعلاءٌ لشَأنها، من هذا الثَّناء قولُه تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴾ (المؤمنون: ٨)، فجعَلَها صفةً بارزةً للمؤمنين.

قال ابن كثيرٍ – رحمه الله – في تفسيره لهذه الآية: " إنَّ المؤمنين إذا اؤتمنوا لم يخونوا، بل يؤدُّونها إلى أهلها، وإذا عاهَدُوا أو عاقَدُوا أَوْفوا بذلك ".

وجمَع الله الأمانات باعتبار تَعدُّد أنواعها وتعدُّدِ القائمين بحِفظها؛ وذلك تنصيصٌ على العُموم، والحِكمة في جمْع الله تعالى الأمانةَ دُون العهد–والله أعلم– أنَّ الأمانة أعمُّ من العهد؛ ولذا فكُلُّ عهدٍ أمانةٌ ".

(فتح القدير للشوكاني:٣/٦٤٦).

وبهذا تعلمُ أخي الحبيب أنَّ المؤمن صادقَ الإيمان لا يُتصوَّر منه خِيانةٌ، وهذا ما أخبر به النبي ﷺ

فقد أخرج البيهقيُّ في "سننه" وأبو يَعلى في "مسنده" عن سعد بن أبي وقاصٍ ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: " يُطبَعُ المؤمِنُ على كُلِّ خلَّةٍ غيرَ الخيانة والكذب ". (قال الحافظ: سنده قوي:١٠/٥٠٨)

فهناك علاقةٌ وثيقة بين الإيمان والأمانة، وقد ربَط بينهما النبيُّ ﷺ

فقد أخرج أحمد والترمذي عن أبي هُريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " المسلمُ مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن مَن أَمِنَه الناس على رِعائهم وأموالهم ". (صحيح الجامع: ٦٧١٠)

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وابن حبَّان من حديث فضالة بن عُبَيْدٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألَا أُخْبِرُكُم مَنِ المُسلِمُ؟ مَن سَلِمَ المُسلِمونَ مِن لِسانِه ويَدِه، والمُؤمِنُ مَن أمِنَهُ الناسُ على أمْوالِهِم وأنْفُسِهِم، والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ الخَطايا والذُّنوبَ، والمُجاهِدُ مَن جاهَدَ نَفْسَه في طاعةِ اللهِ ".

(الصحيحة:٥٤٩) (صحيح الجامع: ٦٦٥٨)

وفي رواية عند الإمام أحمد أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ: " تدرونَ مَنِ المسلمُ؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ قالَ: مَن سلِمَ المُسلِمونَ من لِسَانِهِ ويدِهِ قالَ: تدرونَ مَن المؤمنُ؟ قالوا: اللهُ ورسولُهُ أعلَمُ قال: مَن أَمِنَهُ المؤمنونَ علَى أنفسِهِم وأموالِهِم والمُهَاجِرُ مَن هَجَر السوءَ فاجتَنَبَهُ ".

بل أعلَنَها النبي ﷺ وبيَّن أنَّه لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له

فقد أخرج الإمام أحمدُ وابن حبان عن أنسٍ ﷺ قال: ما خطبنا رسول الله إلَّا قال: " لا إيمانَ لِمَن لا أمانةَ له، ولا دِين لِمَن لا عَهْدَ له ". (صحيح الجامع: ٧١٧٩)

وكان عُروة بن الزبير–رضِي الله عنهما– يقول: " ما نقصَتْ أمانةُ الرجل إلا نقَص إيمانُه ".

فإذا نقص الإيمان أو ذهَب فلا يكون إلا النِّفاق.

ضَياع الأمانة من عَلامات النفاق:

- *أخرج البخاري ومسلمٌ عن أبي هُرَيرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:* " آيةُ المنافق ثلاثٌ: إذا حَدَّثَ كذب، وإذا وعَد أخلَف، وإذا اؤتُمِن خان ".

- *وأخرج البخاري ومسلمٌ عن عبد الله بن عمرٍو -رضِي الله عنهما- أنَّ النبيَّ ﷺ قال:* " أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا خالِصًا، ومَن كانت فيه خَصْلَةٌ منهم كانت فيه خَصْلَةٌ مِن النِّفاق حتى يَدَعَها: إذا اؤتُمِن خان، وإذا حَدَّثَ كذب، وإذا عاهد غدَر، وإذا خاصمَ فَجَر ".

فإذا ضاع الإيمان وظهَر النفاق فسد الزمان.

وضَياع الأمانة دليلٌ على فساد الزمان:

- *أخرج الإمام أحمد وابن ماجَهْ عن أبي هُرَيرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:* " سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعات، يُصَدَّق فيها الكاذبُ، ويُكَذَّب فيها الصادقُ، ويُؤتَمنُ فيها الخائنُ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ، وينطق فيها الرُّوَيْبضة، قيل: وما الرُّوَيْبضة؟ قال:" الرجل التافه يتكلَّم في أمر العامَّة ".

(الصحيحة: ١٨٨٨) (صحيح الجامع: ٣٦٥٠)

- *وأخرج الإمام أحمدُ وابن ماجه عن عبد الله بن عَمرو بن العاص - رضِي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:* " كيف بكمْ وبزمانٍ يُوشِكُ أنْ يأتي يُغَرْبَلُ الناسُ [١] فيه غربلةً، ثم تبقى حُثَالَةٌ [٢] من الناس قدْ مرجَتْ [٣] عُهودُهم وأماناتهم، فاختَلَفُوا هكذا، وشبَّكَ بين أصابعهِ، قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: تأخُذون بمَا تعرفون، وتدعُونَ ما تُنْكِرون، وتُقْبِلون على خاصَّتِكم، وتذَرُون أمرَ عَوامِّكم". (الصحيحة: ٢٠٥) (صحيح الجامع: ٤٥٩٤)

وإذا فسَد الزمان فهذا دليلٌ على قُرب قِيامِ الساعة.

ضَياع الأمانة من عَلامات قرب الساعة:

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هُرَيرَةَ ﷺ قال: بينَما رسول الله ﷺ في مَجلِسٍ يُحدِّثُ القَومَ، جاءَه أعرابيٌّ فقال: مَتى السَّاعةُ؟ فمَضى رَسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ، فقال بَعضُ القَومِ: سَمعَ ما قال فكَرِهَ ما قال. وقال بَعضُهم: بل لم يَسمَعْ. حَتَّى إذا قَضى حَديثَه، قال أينَ السَّائلُ عَنِ السَّاعةِ؟ قال: ها أنا يا رَسولَ اللهِ، قال: فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتَظِرِ السَّاعةَ. قال: كيفَ إضاعَتُها؟ قال: إذا وسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتَظِرِ السَّاعةَ ".

١- يُغربِلِ الناس: يذهَب خيارِهم، ويَبقى شِرارُهم.
٢- حُثالَة من الناس: الحثالَة: الرَّديء من كلِّ شيءٍ.
٣- مرَجتْ: اختلفت وفسَدت.

فقد بَيَّنَ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّ ضياعَ الأمانةِ من علاماتِ اقترابِ قيامِ السَّاعةِ، ثمَّ بَيَّنَ كيفيَّةَ ضياعِها، فقال:" **إذا وُسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِه**[1]"؛ لأنَّ الأئمَّةَ قد ائتمَنهم اللهُ على عبادِه، وفَرَض عليهم النَّصيحةَ لهم، فينبغي لهم توليةُ أهلِ الدِّينِ والأمانةِ والكفايةِ للنَّظرِ في أمرِ الأمَّةِ، فإذا قَلَّدوا غيرَ الأكْفاءِ، واستعملوا من يُعينُهم على الجَورِ والظُّلمِ، فقد ضيَّعوا الأمانةَ التي فرَضها اللهُ عليهم، بل ضيَّعوا أكبرَ الأمانةِ بإسنادِ الأمرِ إلى غيرِ أهلِه، وهذا التَّضييعُ للأمانةِ من علاماتِ السَّاعةِ، وإنَّما دَلَّ ذلك على دُنُوِّ السَّاعةِ؛ لأنَّ تغيُّرَ الولاةِ وفسادَهم مستلزِمٌ لتغيُّرِ الرَّعيَّةِ، فيكونُ ذلك تضييعًا للأمانةِ في المجتَمَعِ كُلِّه، وهذا إنَّما يكونُ عندَ غَلَبةِ الجَهلِ، وضَعفِ أهلِ الحَقِّ عن القيامِ به، وكُلُّ هذا مِن رَفعِ العِلمِ الذي هو من علاماتِ اقترابِ السَّاعةِ.

(شرح صحيح البخاري لابن بطال:١/ ١٣٨) (شرح المشكاة للطيبي:١١/ ٣٤٣٧)

ما أعظَمَ خَطَرَ عدم تأدية الأمانة، وما أعظم السؤال عنها يوم القيامة!

جاء في "تفسير ابن أبي حاتم" عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **" إنَّ الشهادة تُكفِّر كلَّ ذنبٍ إلا الأمانة، يُؤتَى بالرجل يوم القيامة، وإن كان قُتِلَ في سبيل الله تعالى، فيقال: أدِّ أمانتك، فيقول: وأنَّى أُؤدِّيها وقد ذهبت الدُّنيا؟ فتُمثَّل له الأمانةُ في قَعر جهنم فيَهوِي إليها، فيحملها على عاتِقِه، قال: فتنزل على عاتقه فيَهوِي على أثرها أبَدَ الأبَدَ، قال زاذان: "فأتيت البراء بن عازبٍ ﷺ فحدَّثتُه، فقال: صدَق أخي؛** ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ (النساء: ٥٨).

فلهذا وغيرِه كان النبيُّ ﷺ يستعيذُ من الخيانة.

فقد أخرج أبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هُرَيرة ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول: **" اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الجوع؛ فإنَّه بئس الضَّجيعُ، وأعوذُ بك من الخِيانة؛ فإنها بئست البطانة ".**

(صحيح الجامع: ١٢٨٣)

وبعد هذه المقدمة آن لنا الشروع للدخول في الموضوع؛ وبيان فضل الأمانة من القرآن والسنة.

١- وبيَّن النبيُّ ﷺ في حديث آخر كيف إضاعة الأمانة؛ فقد أخرج الإمام أحمد وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضِي الله عنهما- أنَّهُ سمع رسول الله ﷺ قال: "إنَّ اللهَ يُبغِضُ الفُحْشَ والتَّفَحُّشَ، والذي نفسُ محمَّدٍ بيده لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُخوَّنُ الأمينُ، ويُؤتَمنَ الخائنُ. حتَّى يظهرَ الفُحْش والتَّفحُّش، وقطيعةُ الأرْحَامِ وسوء الجوار...". الحديث

أولًا فضل الأمانة من القرآن الكريم:

أمر اللهُ تعالى بأداءِ الأمانةِ ومَدحِ أهلِها، في كثير من الآياتِ، ومنها:

١ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ[1] إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (النساء:٥٨).

قال ابن كثير –رحمه الله– في تفسيره: " يخبر الله تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها، وفي حديث الحسن عن سمرة أن رسول الله ﷺ قال:" أد الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك ". (رواه الإمام أحمد وأهل السنن) وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك. فأمر الله عز وجل بأدائها، فمن لم يفعل ذلك في الدنيا أخذ منه ذلك يوم القيامة، كما ثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:" لتؤدن الحقوق إلى أهلها، حتى يقتص للشاة الجماء من القرناء ".

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي حدثنا وكيع عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **" إن الشهادة تكفر كل ذنب إلا الأمانة، يؤتى بالرجل يوم القيامة – وإن كان قد قتل في سبيل الله – فيقال: أد أمانتك. فيقول: وأنى أؤديها وقد ذهبت الدنيا؟ فتمثل له الأمانة في قعر جهنم، فيهوي إليها فيحملها على عاتقه. قال: فتنزل عن عاتقه، فيهوي على أثرها أبد الآبدين. قال زاذان: فأتيت البراء فحدثته فقال: صدق أخي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.**

٢– وقال تعالى في ذِكرِ صِفاتِ المُفلِحين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ (المؤمنون:٨)

أي: مراعون لها، حافِظون مجتَهِدون على أدائِها والوفاءِ بها، وهذا شامِلٌ لجميعِ الأماناتِ التي بَينَ العبدِ وبَينَ رَبِّه، كالتَّكاليفِ السِّرِّيَّةِ التي لا يطَّلِعُ عليها إلَّا اللهُ، والأماناتِ التي بَينَ العبدِ وبَينَ الخَلقِ في الأموالِ والأسرارِ. (انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٨٨٧).

---

١ - قال الشَّافعيُّ-رحمه الله-:" آلاتُ الرِّياسةِ خَمسٌ: صِدقُ اللَّهجةِ، وكِتمانُ السِّرِّ، والوفاءُ بالعَهدِ، وابتداءُ النَّصيحةِ، وأداءُ الأمانةِ ". (رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق:٤١٣/٥١).

٣- إنَّ الأمانةَ فضيلةٌ ضَخمةٌ، لا يستطيعُ حَملَها الرِّجالُ المهازيلُ، وقد ضرب اللهُ المثَلَ لضخامتِها، فأبان أنَّها تُثقِلُ كاهِلَ الوجودِ، فلا ينبغي للإنسانِ أن يستهينَ بها أو يُفَرِّطَ في حقِّها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب: ٧٢)

ففي هذه الآيةِ: عَظَّم تعالى شأنَ الأمانةِ التي ائتَمَن اللهُ عليها المُكَلَّفين، التي هي امتثالُ الأوامِرِ، واجتنابُ المحارِمِ، في حالِ السِّرِّ والخُفيةِ كحالِ العلانيةِ، وأنَّه تعالى عرَضَها على المخلوقاتِ العظيمةِ؛ السَّماواتِ والأرضِ والجبالِ، عَرْضَ تخييرٍ لا تحتيمٍ، وأنَّكِ إن قُمتِ بها وأدَّيتِها على وَجهِها فلكِ الثَّوابُ، وإنْ لم تقومي بها ولم تؤدِّيها فعليكِ العِقابُ، ﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، أي: خوفًا ألَّا يَقُمْنَ بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربِّهنَّ، ولا زُهدًا في ثوابِه، وعرَضَها اللهُ على الإنسانِ على ذلك الشَّرطِ المذكورِ، فقَبِلَها وحمَلَها مع ظُلمِه وجَهلِه، وحَمَل هذا الحِملَ الثَّقيلَ؛ ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ أي: إنَّ الإنسانَ واقِعٌ في ظُلمِ نَفسِه، والجَهلِ برَبِّه وشَرعِه وقَدْرِ الأمانةِ ".

(انظر تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٦٧٣).(جامع البيان لابن جرير الطبري:١٩/١٩٦)

قال الشنقيطي-رحمه الله- في "أضواء البيان:٦/٢٥٩" في شرح هذه الآية: " ذكَر الله ﷻ في هذه الآية الكريمة أنَّه عرَض الأمانة، وهي التكاليف الشرعيَّة وما يتبعها من ثوابٍ وعِقاب على السَّماوات والأرض والجبال، وأنهنَّ أَبَيْنَ أنْ يحمِلْنَها وأشفقنَ منها؛ أي: خِفنَ من عَواقب حملها أنْ ينشأ لهنَّ من ذلك عذابُ الله وسخطه، وذلك في حال التَّقصير، لكنْ قَبِلَ الإنسان تحمُّلها على ضَعفِه والتزَمَ بها، ومَن لم يحفَظِ الأمانة ﴿كان ظلومًا جَهُولًا﴾؛ أي: كثير الظُّلم والجهل ". اهـ. بتصرف واختصار.

يا الله! السماء مع عِظَمِ خلقها وارتفاعها، والأرض مع سعَتِها وانبِساطها، والجبال على قدْر ارتفاعها وصَلابتها أبَيْنَ أنْ يَحمِلنَ هذه الأمانة الضَّخمة والتَّبِعَةَ الثقيلة وأشفَقنَ منها، وحملها هذا المخلوق الصغير الحجم، القليل القوَّة، الضعيف الحول، المحدود العمر، الذي تناوَشُه الشَّهوات والنَّزعات والميول والأطماع. إنها لَمُخاطرة عظيمة أنْ يأخُذ الإنسان على عاتقه هذه التَّبِعَةَ الثقيلة، لكنْ ما دام رضي بحمْلها فعليه أنْ يُؤدِّي ما عليه تجاهها فلا يخون الأمانة؛ **امتِثالًا لقول ربِّ العالمين:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٧).

فكم من إنسانٍ يَقرَعُ سمعه ليلَ نهارَ: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (الأنعام: ٧٢)، ولكنَّه يضيعُ الأمانة ولا يقيم!

وكم من إنسانٍ يَقرَعُ سمعه ليلَ نهارَ: ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ٤٣)، ولكنَّه يضيع الأمانة ولا يُزكِّي!

وكم من إنسانٍ يقرَعُ سمعه ليلَ نهارَ: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ﴾ (الإسراء: ٣٢)، ولكنَّه يضيع الأمانة ويَزني!

وكم من إنسانٍ يقرَعُ سمعه ليلَ نهارَ: ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا ﴾ (البقرة: ٢٧٨)، ولكنَّه يُضيِّع الأمانة ويُرابي!

وكم من فتاة يقرَعُ سمعها ليلَ نهارَ: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (الأحزاب: ٥٩)

وتسمع قول النبي ﷺ: " **صِنفان من أهل النار لم أرَهُما.. – *وذكر منهما*–" نساء كاسيات عاريات"**، ومع ذلك تخرج متبرِّجة سافرةً وقد ضيَّعت الأمانة!

قال الأصبهاني–رحمه الله–عن الأمانة: " إنَّ الأمانة هي عين الإيمان، فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد قام حِينئذٍ بأداء ما أُمِرَ به، واجتنب ما نُهي عنه ".

- **فالطاعة أمانة، والمعصية خيانة.**

قال عبدُ اللهِ بنُ مَسعودٍ رضي الله عنه: " **القتلُ في سبيلِ اللهِ كفَّارةُ كُلِّ ذنبٍ إلَّا الأمانةَ، وإنَّ الأمانةَ الصَّلاةُ والزَّكاةُ، والغُسلُ من الجنابةِ، والكَيلُ والميزانُ، والحديثُ، وأعظَمُ مِن ذلك الودائعُ** ".

(أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق:١٦٠) (البيهقي في شعب الإيمان:٥٢٦٦) (صحيح الترغيب:١٧٦٣)

فعلينا أحبَّتي في الله أنْ نُؤدِّي الأمانةَ بفِعل المأمور، واجتِناب المحظور، والإكثار من الطاعات؛ لنَنال محبَّةَ الله تعالى.

فقد أخرج البخاري أنَّ الحبيب النبيَّ ﷺ قال: قال الله عز وجل: " **وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ ممَّا افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمعُ به، وبصرَه الذي يُبصِرُ به، ويدَه التي يبطشُ بها، ورجلَه التي يمشي بها، ولئنْ سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأُعِيذنَّه** ".

وعلى الإنسان كذلك أنْ يسعى لأداء الأمانة تُجاه هذا الدِّين بأنْ نحمِلَه على أعناقنا لكلِّ البلاد والعباد؛ ليُصبِح الناس في كلِّ الأقطار عِبادًا للرحمن، وبذلك تتَّفق وجهةُ الإنسان مع وجهة الكون الذي يُسبِّح بحمد الله ويُقدِّس له؛ **كما قال تعالى:** ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ (الإسراء: ٤٤)

٤- قال تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ(٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران: ٧٥)

يقول بعض أهل الكتاب:" ليس علينا في أموالِ الأُمِّيِّين إثمٌ في أخذِ أموالِهم، وإنَّ اللهَ أحَلَّ لنا ذلك؛ فلا حَرَجَ علينا في خيانتِهم، وتَركِ رَدِّ أموالِهم"، وهذا القولُ كَذِبٌ منهم على اللهِ...، وقد قدَّم اللهُ سُبحانَه ذِكرَ من يؤدُّون الأمانةَ من أهلِ الكتابِ قبلَ الذين يخونونها؛ إنصافًا لحَقِّ هذا الفريقِ، ونَعْيًا على الفريقِ الظَّالِمِ، ثمَّ عقَّب اللهُ سُبحانَه ذلك بقَولِه تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ٧٦)، وهذا إخبارٌ من اللهِ عزَّ وجَلَّ بحُسنِ جزاءِ من أدَّى أمانتَه إلى من ائتَمَنه عليها اتِّقاءً للهِ، فأخبر جلَّ ثناؤه: أنَّ من أوفى بعهدِ اللهِ الذي عاهَده في كتابِه، فآمن بمحمَّدٍ ﷺ، وصدَّق به وبما جاء به من اللهِ من أداءِ الأمانةِ إلى من ائتَمَنه عليها، وغيرِ ذلك مِن أمرِ اللهِ ونهيِه، واتَّقى ما نهاه اللهُ عنه من الكُفرِ به وسائرِ معاصيه التي حرَّمها عليه، فاجتَنب ذلك مراقبةً لوعيدِ اللهِ وخوفًا من عقابِه- فإنَّ اللهَ يحبُّ الذين يتَّقونه فيخافون عقابَه ويَحذَرون عذابَه، فيَجتَنِبون ما نهاهم عنه وحرَّمه عليهم، ويُطيعونه فيما أمرَهم به ". (انظر جامع البيان لابن جرير:٥/٥٠٨)، (تفسير ابن كثير:٢/٦٠)، (تفسير ابن عاشور:٣/٢٨٥).

٥- وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ﴾ (البقرة:٢٨٣)

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ أي: إن كان الذي عليه الحَقُّ أمينًا عندَ صاحبِ الحَقِّ، لحُسنِ ظَنِّه به، وأمانتِه لديه، واستغنى بأمانتِه عن الارتهانِ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ وهو المديونُ أَمَانَتَهُ أي: الدَّينَ الذي عليه . فحثَّ المديونَ على أن يكونَ عندَ ظَنِّ الدَّائِنِ الذي ائتَمَنه، وأن يؤدِّيَ إليه حَقَّه الذي ائتَمَنه عليه ولم يرتهِنْ منه عليه شيئًا، وإلَّا فأداءُ الأمانةِ واجِبٌ سواءٌ ائتمَنَه أو لم يفعَلْ ذلك ". (انظر فتح القدير للشوكاني:١/ ٣٤٨)

فضل أداء الأمانة من السنة المباركة:

١- الأمانة سببٌ لمحبَّة الله ورسوله ﷺ:

أخرج البيهقي في "شعب الإيمان" عن رسول الله ﷺ قال: " مَن سَرَّهُ أن يُحِبَّهُ الله ورسوله فليَصْدُق حَدِيثَهُ إذا حدَّث، وليُؤَدِّ أمانَتَه إذا اؤتُمِن ". (حسَّنه الألباني في "تحقيق المشكاة": ٤٩٩٠)

وأخرج عبد الرزاق في مصنفه من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنْ كنتُمْ تُحِبُّونَ أنْ يُحِبَّكُمُ اللهُ ورسولُهُ فَحافِظُوا على ثلاثِ خِصالٍ: صِدْقِ الحَدِيثِ، وأَدَاءِ الأَمانَةِ، وحُسْنِ الجِوَارِ ".

(السلسلة الصحيحة: ٢٩٩٨)

٢- الأمين كالغازي في سبيل الله:

أخرج الإمام أحمدُ وأبو داود عن رافع بن خَدِيجٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " العامِلُ بالحقِّ على الصدَقة، كالغازي في سبيل الله حتى يرجعَ إلى بيتهِ ". (صحيح الجامع: ٤١١٧)

٣- وبيَّن الرسولُ الأمين ﷺ أنَّ الخازن الأمين هو أحد المتصدِّقين:

أخرج البخاري ومسلمٌ عن أبي مُوسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الخازنُ الأمين الذي يُؤَدِّي ما أُمِرَ به طيِّبَةً نفسُهُ أحَدُ المتصدِّقين ".

وفي الصحيحين أيضًا أن النبي ﷺ قال: " الخازن المسلم الأمينُ الذي يُعْطِي ما أُمِرَ به كاملًا مُوفَّرًا طيِّبَة به نفسُه فيدفعُهُ إلى الذي أُمِرَ لَهُ به، أحدُ المُتصدِّقين ".

الخازِنُ: هو الذي يَخزُنُ عندَه المالَ، أي: يَحفَظُ. وقد أثنى النَّبيُّ ﷺ على الخازِنِ الأمينِ الذي لا يخونُ في أخذِه وإعطائِه، فيُعطي أمانةَ هذا المالِ بطِيبِ نَفسٍ منه، ويَظهَرُ طِيبُ النَّفسِ من الخازِنِ بعَدَمِ إيذائِه الفقيرَ في إعطائِه، وهو بذلك يكونُ قد أدَّى أمانةَ ما أمره به صاحِبُ المالِ وأذِنَ له فيه مع صِدقِ نيَّتِه، فيُثيبُه اللهُ بذلك بجَعلِه أحَدَ المتصَدِّقين، وله نصيبٌ في الأجرِ والثَّوابِ، وجعَلَه كذلك مع أنَّ المالَ الذي تصدَّق منه ليس مِلكًا له، وإنَّما هو خازِنٌ فقط؛ لأنَّه مُعينٌ على إنفاذِ الحَسَنةِ، ولأنَّه لمَّا كان واليًا على خِزانتِه، وأدَّى حقوقَ النَّاسِ في ولايتِه بطِيبِ نفسٍ منه بما أدَّاه؛ استحَقَّ ذلك التَّكريمَ لأمانتِه.

(شرح صحيح البخاري لابن بطال:٦/ ٤٥٥) (شرح أبي داود للعيني:٦/ ٤٣٦)

٤- الأمانة سبب البركة والنماء:

فقد أخرج البخاري ومسلمٌ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: " البيِّعان بالخِيار ما لم يتفرَّقا، فإنْ صَدَقَا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإنْ كتَما وكذَبا مُحِقتْ بركةُ بيعهما ".

فإذا ذهبت الأمانة وكانت الخيانة فقد ذهَبت البركة. فقد أخرج أبو داود بسندٍ ضعيف أنَّ النبيَّ ﷺ قال: قال الله تعالى: " أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخنْ أحدهما صاحبَه، فإذا خانَه خرجتُ من بينهما ".

٥- الأمانة سبب للرزق والسعادة في الدنيا:

وعن نافعٍ مولى ابنِ عمر –رضي الله عنهما– قال: "خرج عبد الله بن عمر –رضِي الله عنهما– في بعض نواحي المدينة، ومعه أصحابٌ لهُ، ووضَعُوا السفرة لَهُ، فمَرَّ بهم راعي غنمٍ، فسلَّم، فقال ابن عمر: هَلُمَّ يا راعِ فأصِبْ من هذه السفرة، فقال له: إنِّي صائم، فقال ابن عمر: أتصومُ في مثل هذا اليوم الحارِّ الشديد سمومُه وأنت في هذه الحال ترعى الغنم؟! فقال: والله إنِّي أبادر أيامي الخالية، فقال لهُ ابن عمر وهو يريد أنْ يختبر ورعه –وأمانته–: فهل لك أنْ تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنُعطِيَك ثمنها ونُعطِيَك من لحمِها ما تفطر عليه؟ قال: إنها ليست لي بغنمٍ، إنها غنمُ سيدي، فقال له ابنُ عمر: فما يفعلُ سيدك إذا فقَدَها؟ فولَّى الراعي عنه، وهو يرفعُ أصبعَه إلى السَّماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يُردِّدُ قولَ الراعي، يقول: قال الراعي: أين الله؟ قال: فلمَّا قدم المدينة بعَث إلى مولاه، فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتَقَ الراعي ووهَبَ له الغنم ". (أُسد الغابة لابن الأثير:٣/٣٤١)

قال سُفيانَ بنِ عُيَينةَ –رحمه الله–: " من لم يكُنْ له رأسُ مالٍ فليتَّخِذِ الأمانةَ رأسَ مالِه ".

(رواه البيهقي في شعب الإيمان:٥٢٨٤)

٦- الأمانة سببٌ لحفظ الأهل والمال:

قال الخضرُ لموسى عليه السلام مُبيِّنًا سبب بنائه للجدار: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف: ٨٢).

وكان سعيد بن جبير –رحمه الله– يقول في قوله تعالى: {وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا}: " كان يُؤدِّي الأمانات والودائع إلى أهلها، فحَفِظَ الله تعالى له كنزَه، حتى أدرَكَ ولداه، فاستخرجا كنزهما ". اهـ

(حلية الأولياء:٤/٢٨٧)

– وقد سأل بعضُ خُلَفاء بني العبَّاس بعضَ العلماء أنْ يُحدِّثه عمَّن أدرَكَ، فقال: " أدرَكتُ عمر بن عبد العزيز، قيل له: يا أمير المؤمنين، أقْفَرتَ أفواه بنيك من هذا المال، وتركتهم فقراء لا شيءَ لهم!– وكان في مرض موته– فقال: أدخِلُوهم عليَّ، فأدخَلوهم، وهم بضعة عشر ذكرًا، ليس فيهم بالغٌ، فلمَّا رآهم ذرفت عيناه، ثم قال: يا بنيَّ، والله ما منعتُكم حقًّا هو لكم، ولم أكن بالذي آخُذ أموالَ الناس فأدفعها إليكم، وإنما أنتم أحد رجلين: إمَّا صالح؛ فالله يتولَّى الصالحين، وإمَّا غير صالح؛ فلا أخلف لَهُ ما يستعينُ به على معصية الله تعالى، قُوموا عنِّي، قال: فلقد رأيت بعض بنيه حمل على مائة فرس في سبيل الله؛ يعني: أعطاها لِمَن يغزو ". (مجموع الفتاوى:٢٨/٢١٩).

٧- الأمانة سببٌ للنجاة والمرور على الصراط:

فلعظِمِ الأمانة والرَّحِمِ فإنَّ النبيَّ ﷺ أخبر أنَّ الأمانة والرَّحِمَ تَقُومان يومَ القيامة على جنبتي الصراط عندما يمرُّ الناس على الصراط الذي وُضِعَ فوق جهنَّم

يا له من موقفٍ عصيبٍ! فكلُّ مَن ضيَّع الأمانة وقطع الأرحام فلن يثبت على الصراط، أمَّا مَن وصَل رحمَه وأدَّى الأمانة فسيثبت – إنْ شاء الله – على الصراط، ويمرُّ إلى جنَّة الخلد حيث النعيم المقيم، يتمتَّع فيها بلذَّة النَّظر إلى وجه الله الكريم.

أخرج الإمام مسلمٌ عن حُذيفةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يجمعُ الله تعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتَّى تُزْلَفَ [1] لهم الجنَّةُ، فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفْتِحْ لنا الجنَّة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنَّة إلاَّ خطيئةُ أبيكم آدم، لستُ بصاحِبِ ذلك، اذهَبُوا إلى ابني إبراهيم خليل الله، قال: فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، إنما كُنت خليلًا من وراءِ وراءَ [2]، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلَّمَهُ الله تكليمًا، فيأتون موسى ﷺ فيقول: لستُ بصاحبِ ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحِهِ، فيقول عيسى ﷺ: لستُ بصاحبِ ذلك، فيأتون محمَّدًا ﷺ فيقوم فيُؤذَن له، وتُرسَل الأمانَةُ والرحمُ فتقومان جنبتي الصِّراطِ يمينًا وشمالًا، فيمرُّ أولكم كالبرقِ، قال: قلت: بأبي أنت وأمي أي شيءٍ كمرِّ البرقِ؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمرُّ ويرجعُ في طرفةِ عينٍ؟ ثمَّ كمرِّ الرِّيحِ، ثمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وشدِّ الرِّحالِ [3] تَجْري بهم أعمَالهم [4]، ونبيُّكم قائمٌ على الصِّراطِ يقول: ربِّ سلِّمْ سلِّمْ، حتى تعجزَ أعمَالُ العبادِ حتى يَجِيءَ الرَّجُلُ فلا يستطيع السير إلاَّ زحفًا، قال: وفي حافتي الصِّرَاط كلالِيبُ معلَّقةٌ مأمورةٌ بأخْذ مَن أُمرتْ به؛ فمخْدُوشٌ ناجٍ، ومكْدُوسٌ [5] في النَّار ".**

وقوله ﷺ:" وتُرسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتقومان جنَبَتَي الصِّراطِ يمينًا وشِمالًا...". أي: تقفانِ في ناحيتَي الصِّراطِ، فتُصَوَّران مُشخَّصتَينِ على الصِّفةِ التي يريدُها اللهُ تعالى، والمعنى أنَّ الأمانةَ والرَّحِمَ لعِظَمِ شَأنِهما وفخامةِ ما يلزَمُ العبادَ من رعايةِ حَقِّهما، تُوقَفانِ هناك للأمينِ والخائنِ، والواصِلِ والقاطِعِ، فتُحاجَّانِ عن المحِقِّ، وتَشهدانِ على المُبطِلِ، وإنَّما كان كذلك؛ ليتميَّزَ الأمينُ من الخائنِ، والواصِلُ من القاطِعِ، على رُؤوسِ الملأِ؛ سُرورًا للأمينِ والواصِلِ، وفضيحةً للخائنِ والقاطِعِ، فهذا تحريضٌ بليغٌ على رعايتِهما، وحثٌّ تامٌّ على أداءِ حَقَّيهما؛ فإنَّ رعايتَهما سَبَبٌ لمصالِحَ كثيرةٍ، وفوائِدَ عظيمةٍ.

(شرح صحيح مسلم للنووي:٣/ ٧٢) (فتح الباري لابن حجر:١١/ ٤٥٣)

١- تُزْلف: تُقرَّب.
٢- وراءَ وراءَ: كلمة مُؤكِّدة؛ كشذر مذر، وشغر مغر، فرَكَّبَها وبَناهما على الفتح.
٣- شد الرِّحال: الشدُّ هو العدو البالغ الجرْي.
٤- تجري بهم أعمالُهم: هو تفسيرٌ لقوله ﷺ: "فيمرُّ أوَّلكم كالبرق، ثم كمَرِّ الرِّيح".
٥- مكدوس في النار؛ أي: مدفوعٌ فيها.

٨- أداء الأمانة سببٌ لدُخول الجنَّة:

أخرج الإمام أحمد وابن حبان والحاكم عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اضمَنُوا لي ستًّا من أنفسِكُم أضمنْ لكم الجنَّة؛ اصدقُوا إذا حدَّثتُم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتمنتُم، واحفَظُوا فُروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكُمْ ". (الصحيحة": ١٤٧٠) (صحيح الجامع: ١٠١٨)

وأخيرًا: لا عليك ما فاتَك من الدُّنيا إنْ كنت أمينًا:

روى أحمد والحاكم عن ابن عمر–رضي الله عنهما– قال رسول الله ﷺ: " أربعٌ إذا كُنَّ فيك فلا عليك ما فاتَك من الدنيا: صِدْقُ الحديث، وحِفْظُ الأمانِة، وحُسن الخُلُقِ، وعِفَّةُ مَطْعَم ".

(الصحيحة: ٧٣٣) (صحيح الجامع: ٨٧٣)

ويقول عبد الله بن عمرو بن العاص–رضِي الله عنهما–: " أربعُ خِلالٍ إذا أُعطيتَهُنَّ فلا يَضُرُّك ما عُزل عنك من الدُّنيا: حُسْنُ خَلِيقةٍ، وعَفافُ طُعمة، وصِدْق حديثٍ، وحِفظ أمانة ".

(الأدب المفرد ص:١٠٩)

وكذا قال السَّرِيُّ بنُ المُغَلِّس–رحمه الله–: " أربَعٌ من أُعطِيَهنَّ فقد أعطِيَ خَيرَ الدُّنيا والآخِرةِ: صِدقُ الحديثِ، وحِفظُ الأمانةِ، وعَفافُ الطُّعمةِ، وحُسنُ الخليقةِ ". (الباب الآداب لأسامة بن منقذ ص: ٢٤٩).

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك